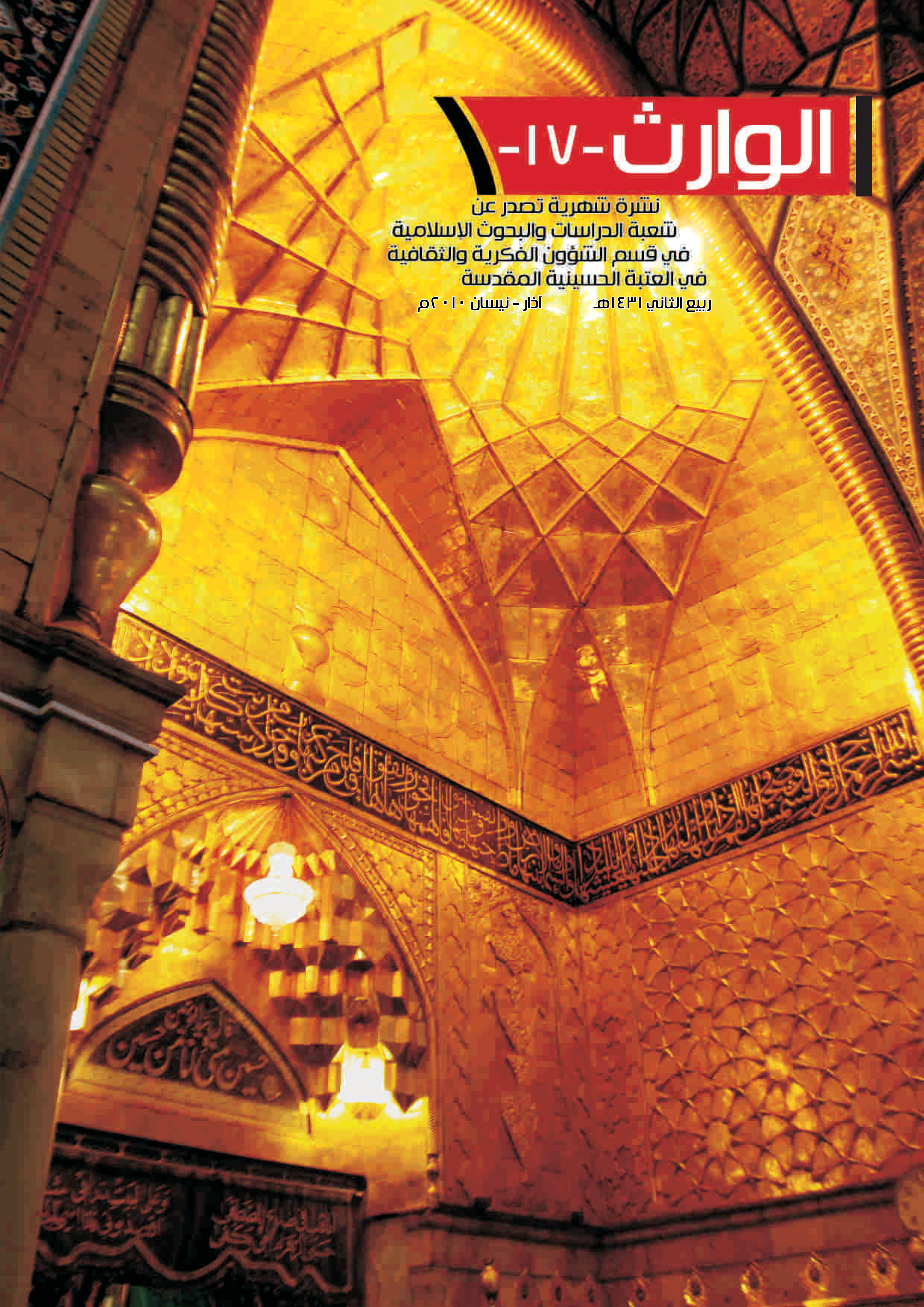


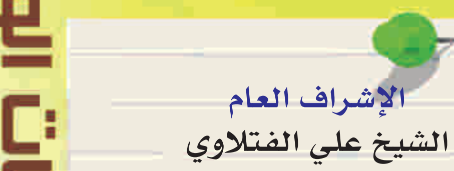
الوارث -١٧-

نشرة شهرية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

ربيع الثاني ١٤٣١هـ آذار - نيسان ٢٠١٠م



صفحات الوارث



الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن جواد

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

نلفت عناية الأخوة المؤمنين إلى أن هذه النشرة تحتوي على كلمات مقدسة لذا نرجو عدم رميها في أماكن لا تليق بها أو حرقها أو استخدامها فيما يعد إنتهاكاً لهذه الكلمات ولكم الأجر والثواب...

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
– وزارة الثقافة لسنة ٢٠١٠ – ١٢١١

الأمانة العامة للمكتبة المقدسة
هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ – داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email: info@imamhussain-lib.org

الجهل سبب الفساد

الجهل صفة جمعت فيها مساوئ العيوب، وصارت سبباً لكل منقصة وخلل، فلذا ورد في حديث أهل بيت العصمة عليهم السلام أن للجهل جنوداً تفتك بكل كمال، وتقبح كل جمال، وتفسد كل صالح، وتشوه كل حسن، وتحبط كل معروف، وتربك كل نظام، فالجاهل موجود ضار إذا ما سمح لجهله أن يقوده، وإنسان يفسد أكثر مما يصلح وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «من عمل على غر علم كان ما يفسد أكثر ما يصلح».

فلذا عندما يوضع الرجل الجاهل في رأس المسؤولية سواء كان ذلك على مستوى الأسرة أو المجتمع أو الدولة نراه كتلة من الحماقة وصورة من الغباء، وهيئة قبيحة لا يرجى منها خير، ولكي ترتقي الأمم وتسمو الشعوب لابد من تعليم الجاهل وتأهيله للموقع الذي سيشغله وإلا لا تحصد إلا التخلف والبعد عن سعادة الدنيا والآخرة، وهذا لا يتم إلا من خلال التحلّي بالفضائل والتسلح بجيش يطرد جيش الجهل ويدحر جنوده كما أرشد لذلك حديث الإمام الصادق عليه السلام فقال:

«إنّ اللهَ عزّ وجلَّ خَلق العقل وهو أوّل خلق من الروحانيّين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر فأدبر؛ ثمّ قال له: أقبل فأقبل؛ فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي، قال: ثمّ خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيّاً فقال له: أدبر فأدبر؛ ثمّ قال له: أقبل فلم يقبل فقال له: أستكبرت؟ فلعنه، ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً فلمّا رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة فقال الجهل: يا ربّ هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضدّه، ولا قوّة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند:

الخير هو وزير العقل وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل؛ والإيمان وضدُّه الكفر؛ والتصديقُ وضدّه الجحود؛ والرجاء وضدّه القنوط؛ والعدل وضدّه الجور؛ والرضا وضدّه السخط؛ والشكر وضدّه الكفران؛ والطمع وضدّه اليأس؛ والتوكّل وضدّه الحرص؛ والرأفة وضدّها القسوة؛ والرحمة وضدّها الغضب؛ والعلم وضدّه الجهل؛ والفهم وضدّه الحمق؛ والعفّة وضدّها التهتك؛ والزهد وضدّها الرغبة؛ والرفق وضدّه الخرق؛ والرهبة وضدّها الجرأة؛ والتواضع وضدّه الكبر؛ والتؤدة وضدّها التسرُّع؛ والحلم وضدّه السفه؛ والصمت وضدّه الهذر؛ والاستسلام وضدّه الاستكبار؛ والتسليم وضدّه الشك؛ والصبر وضدّه الجزع؛ والصفح وضدّه الانتقام؛ والغنى وضدّه الفقر؛ والتذكّر وضدّه السهو؛ والحفظ وضدّه النسيان؛ والتعطّف وضدّه القطيعة؛ والقنوع وضدّه الحرص؛ والمؤاساة وضدّها المنع؛ والمودة وضدّها العداوة؛ والوفاء وضدّه الغدر؛ والطاعة وضدّها المعصية؛ والخضوع وضدّه التطاول؛ والسلامة وضدّها البلاء؛ والحبّ وضدّه البغض؛ والصدق وضدّه الكذب؛ والحقّ وضدّه الباطل؛ والأمانة وضدّها الخيانة؛ والإخلاص وضدّه الشوب؛ والشهامة وضدّها البلادة؛ والفهم وضدّه الغباوة؛ والمعرفة وضدّها الإنكار؛ والمداراة وضدّها المكاشفة؛ وسلامة الغيب وضدّها المماكرة؛ والكتمان وضدّه الإفشاء؛ والصلاة وضدّها الإضاعة، والصوم وضدّه الإفطار، والجهاد وضدّه النكول؛ والحجُّ وضدُّه نبذ الميثاق؛ وصون الحديث وضدّه النميمة؛ وبر الوالدين وضدّه العقوق؛ والحقيقة وضدّها الرياء؛ والمعروف وضدّه المنكر؛ والسّتر وضدّه التبرّج؛ والتقيّة وضدّها الإضاعة؛ والإنصاف وضدّه الحميّة؛ والتهيئة وضدُّها البلاء؛ والقِوام وضدّه المكاثرة؛ والحكمة وضدّها الهوى؛ والوقار وضدّه الخفّة؛ والسعادة وضدّها الشقاوة؛ والتوبة وضدّها الإصرار؛ والاستغفار وضدّه الاغترار؛ والمحافظة وضدّها التهاون؛ والدعاء وضدُّه الاستنكاف، والنشاط وضدّه الكسل؛ والفرح وضدُّه الحزن؛ والألفة وضدّها الفرقة، والسخاء وضدّه البخل....».

المشرف العام

الإمام الحسين عليه السلام يعرف الناس بأهل البيت عليهم السلام

عدم تحمل الناس فضائل أهل البيت عليهم السلام

عن جماعة منهم: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن النيسابوري، والشيخ محمد بن علي بن عبد الصمد، عن الشيخ أبي الحسن بن عبد الصمد التميمي، حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن محمد العمري، حدثنا أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى الحسين عليه السلام أناس، فقالوا له: يا أبا عبد الله! حدثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم.

فقال: إنكم لا تحتملونه، ولا تطيقونه!

قالوا: بلى، نحتمل.

قال: إن كنتم صادقين فليتنح إثنان، وأحدث واحدا، فإن احتمله حدثتكم.

فتنحى اثنان وحدث واحدا، فقام طائر العقل! ومر على وجهه وذهب، فكلمه صاحباه فلم يرد عليهما شيئا وانصرفوا.

وبهذا الإسناد قال عليه السلام: أتى رجل الحسين بن علي عليهما السلام فقال: حدثني بفضلكم الذي جعل الله لكم.

قال عليه السلام: إنك لن تطيق حمله.

قال: بلى، حدثني يا ابن رسول الله! إني أحتمله. فحدثه بحديث، فما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتى أبيض رأس الرجل ولحيته، وأنسي الحديث.

فقال الحسين عليه السلام: أدركته رحمة الله حيث أنسي الحديث.

روى عبد العزيز بن كثير: إن قوما أتوا إلى الحسين عليه السلام، وقالوا: حدثنا بفضائلكم.

قال عليه السلام: «لا تطيقون، وانحازوا عني لأسير إلى بعضكم، فإن أطاق سأحدثكم» فتباعدوا عنه، فكان يتكلم مع أحدهم حتى دهش ووله وجعل يهيم. ولا يجيب أحدا وانصرفوا عنه.

وجود أهل البيت عليهم السلام قبل خلق آدم

فقد ـ روي لنا أن حبيب بن مظاهر الأسدي بيض الله وجهه، أنه قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: أي شيء كنتم قبل أن يخلق الله عز وجل آدم عليه السلام؟ قال: «كنا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن، فنعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد».

أساس الإسلام حب أهل البيت عليهم السلام

روى الطوسي: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسين البصير (البصري) قال: حدثنا أحمد بن نصر بن سعيد الباهلي قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق النهاوندي قال: حدثنا عبد الله بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: «لما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله مناسكه من حجة الوداع ركب راحلته وأنشأ يقول: لا يدخل الجنة إلا من كان مسلما فقام إليه أبو ذر الغفاري رحمه الله فقال: يا رسول الله! وما الإسلام؟. فقال صلى الله عليه وآله: الإسلام عريان، لباسه التقوى، وزينته الحياء، وملاكه الورع، وجماله (كماله) الدين، وثمره العمل الصالح، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت».

نتائج حب أهل البيت عليهم السلام

قال أبان بن تغلب: قال الإمام الشهيد عليه السلام: «من أحبنا كان منا أهل البيت» فقلت: منكم أهل البيت؟! فقال: «منا أهل البيت»، حتى قالها ـ ثلاثا ـ ثم قال عليه السلام: أما سمعت قول العبد الصالح: (فمن تبعني فإنه مني).

عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر قال: حدثنا أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر الأزدي الحافظ، قال: حدثنا أبو محمد عبد الغني، حدثنا الحسين بن عبد الله القرشي، حدثنا الباهلي، حدثنا عبد الرحمان ابن خالد، حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا زياد بن المنذر، عن عقيصا ـ وهو أبو سعيد دينار ـ قال: سمعت الحسين عليه السلام يقول: «من أحبنا نفعه الله بحبنا وإن كان أسيرا في الديلم، وإن حبنا ليساقط الذنوب كما تساقط الريح الورق».

ومن كلامه عليه السلام: «إلزموا مودتنا أهل البيت، فإن من لقي الله وهو يودنا دخل في شفاعتنا، إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقما».

عن زين العابدين، عن أبيه عليهما السلام قال: «من أحبنا نفعه الله بحبنا، ولو أنه بالديلم».

أحمد بن محمد بن خالد البرقي: عن محمد بن عبد الحميد، عن جماعة، عن بشر بن غالب الأسدي، قال: حدثني الحسين بن علي عليهما السلام، قال: «يا بشر ابن غالب! من أحبنا لا يحبنا إلا لله، جئنا نحن وهو كهاتين ـ وقدر بين سبابتيه ـ ومن أحبنا لا يحبنا إلا للدنيا، فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر».

أخبرنا أبو عمر قال أحمد: قال: حدثنا الحسن بن عتبة الكندي قال: حدثنا بكار بن بشر قال: حدثنا حمزة الزيات، عن عبد الله بن شريك، عن بشر بن غالب، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: «من أحبنا لله وردنا نحن وهو على نبينا صلى الله عليه وآله هكذا ـ وضم إصبعيه ـ ومن أحبنا للدنيا فإن الدنيا تسع البر والفاجر».

عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: «من أحبنا للدنيا فإن صاحب الدنيا يحبه البر والفاجر، ومن أحبنا لله كنا نحن وهو يوم القيامة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى».

ميزان حب أهل البيت عليهم السلام

عن علي بن الحسين، عن أبيه عليهما السلام قال: «أحبونا بحب الإسلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا».

ملاك تولي أهل البيت عليهم السلام

عن عبد الله بن الحسين بن زين العابدين، عن أبيه، عن جده، عن الحسين السبط عليهما السلام قال: «من والانا فلجدي صلى الله عليه وآله والى، ومن عادانا فلجدي صلى الله عليه وآله عادى».

فضيلة الذهاب إلى أهل البيت عليهم السلام

قال عليه السلام: «من أتانا لم يعدم خصلة من أربع: آية محكمة، وقضية عادلة، وأخا مستفادا، ومجالسة العلماء».

ابتلاء من أحب أهل البيت عليهم السلام

نقل المجلسي رحمه الله: عن كتاب المؤمن، بإسناده عن سعد بن طريف قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجاء جميل الأزرق، فدخل عليه، قال: فذكروا بلايا للشيعة، وما يصيبهم، فقال أبو جعفر عليه السلام: إن أناسا أتوا علي بن الحسين عليهما السلام وعبد الله بن عباس، فذكروا لهما نحو ما ذكرتم، قال: فأتيا الحسين بن علي عليهما السلام، فذكرا له ذلك، فقال الحسين عليه السلام: «والله! البلاء والفقر والقتل أسرع إلى من أحبنا من ركض البراذين، ومن السيل إلى صمره.

قلت: وما الصمر؟ قال: «منتهاه، ولولا أن تكونوا كذلك، لرأينا أنكم لستم منا».

بيان: في القاموس، صمر الماء: جرى من حدور في مستوى فسكن، وهو جار والصمر بالكسر: مستقره[1].

---

١ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: معهد تحقيقات باقر العلوم عليهم السلام، ص ٥٨٠ ـ ٥٨٥.



الحلقة الأولى

المهتمون بشعر الإمام الحسين عليه السلام

اهتم مجموعة من الفضلاء والأدباء بجمع الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام، بل إن بعضهم علق عليه وشرحه منذ القرون الأولى وحتى يومنا الحاضر وهؤلاء يصنفون إلى أكثر من أربع طوائف: طائفة استقلت بجمع شعر الإمام الحسين عليه السلام، وحده، وطائفة أوردت شعره ضمن ما صدر عنه من خطب وكلمات، وطائفة أخرى استقلت بشعره ضمن فصل من فصول شعر المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام أو الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وطائفة أعطته حيزاً من كتاباتهم لدى عرضهم لسيرة الإمام نفسه أو ضمن سيرة المعصومين عليهم السلام، وإلى جانب هؤلاء فإن آخرين أوردوا أشعاره في مؤلفاتهم ومصنفاتهم بالمناسبة ونحن هنا سنبرز ثلاث طوائف منهم، الأولى: ما استقل شعره عليه السلام، بكتاب، والثانية: ما ذكر ضمن أدبه العام من خطب وكلمات، والثالثة: ما استقل شعره في فصل من فصول شعر المعصومين عليهم السلام، إذ الطائفة الرابعة يصعب حصرها لأن كل من تعرض لسيرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، في الغالب تطرق إلى شيء من أشعاره، والطائفة الخامسة يصعب استقصاؤها، هذا من جهة وأما من جهة أخرى فإن هذا لا يرتبط بموضوعنا هنا بل إنه من اختصاص معجم المصنفات ومعجم الكتابات، ولا يجدي ذكرها هنا نفعاً إلا التكرار وهذا ما لا نتوخاه، فإلى الطائفة الأولى:

نظرة إلى الدواوين المنسوبة إلى الإمام

هناك العديد من المؤرخين والأدباء جمعوا أشعار الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كما يظهر من طيات كلماتهم ومجمل أقوالهم، ونحاول أن نستعرض ما توفرنا عليها منها حسب التسلسل التاريخي:

١ـ ديوان أبي عبد الله الحسين:

والذي جمعه أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعد الأزدي المتوفى عام ١٥٧هـ[١]. ومن المؤسف أن هذا الديوان لم يصلنا، وذلك للاضطهاد الذي عاناه الموالون لأهل البيت عليهم السلام، في العهد الأموي بالذات، فلم يسلم في عهدهم الكاتب والمكتوب.

ومما يرشدنا إلى هذا الديوان قول الأربلي[٢] لدى عثوره على مخطوطة فيها شعر الإمام الحسين عليه السلام، وجاء فيها: قال أبو مخنف لوط بن يحيى، أكثر ما يرويه الناس من شعر سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، إنما هو ما تمثل به، وقد أخذت شعره من مواضعه، واستخرجته من مظانه وأماكنه، ورويته عن ثقات الرجال، منهم عبد الرحمان بن نخبة الخزاعي[٣] وكان عارفاً بأمر أهل البيت عليهم السلام، ومنهم المسيب بن رافع المخزومي[٤] وغيره كثير[٥].

وكان أبو مخنف حريصاً على جمع شعر الإمام الحسين عليه السلام، ملما به يبذل الكثير للوصول إلى هدفه المنشود حيث يقول: ولقد أنشدني يوماً رجل من ساكني سلع[١] هذه الأبيات ...، فقال لي: ما أحسن رداءك هذا؟ وكنت قد اشتريته يومي ذاك بعشرة دنانير فطرحته عليه فاكتبنيها والأبيات هي المقطوعة التي أولها:

ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه

وبما أن أبا مخنف كان مؤرخاً فكان يهمه المعلومة التاريخية أو الأدبية أو ما في فلكها وبالأخص إذا كانت محرّمة التداول من قبل السلطات الحاكمة حيث كان

يعرف قــدرها خصوصاً وهي ترتبـط بمثل الإمام الحسين عليه السلام، فلذلك يهون عليه دفع ما يعادل عشرة دنانير للحصول عليها.

ومما يدلنا أيضاً على أن أبا مخنف جمع أشعار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قول الأربلي ثانية عند نهاية الحديث عن ذلك: «قلت: الأبيات النونية التي أولها:

غدر القــوم وقِدْماً رغبــوا عن ثواب الله رب الثقلين

لم يذكرها أبــو مخنف في هذا الديوان الذي جمعه وهي مشهورة، والله أعلم»، كل هذا يدلنا على أن أبا مخنف قـد جمع ما عثر عليه من شـعر الإمام الحسـين عليه السلام، مما أطمأنت إليه نفسه حيث سبق وأشار إلى أن معظم ما نقـل عنه كان مما تمثل بـه الإمام عليه السلام، ولذلك جاءت محاولته على فرز ما أنشأه عمّا أنشده ليضع الأول منهما في ديوان خاص به.

ومن الملاحـظ أنه كان يذكر مع الأشـعار سبب الإنشـاء وتاريخها والغرض منها وهو بحدّ ذاته يوجب توثيق النص المنقول، حيث يزيد من قـيمته التاريخية والأدبـية، وهذا ما لا يفعله الكثير ممن جمع الشــعر لأعلام الأمة وشعرائها.

هذا ومن الغريب أن الأربـلي لم ينقل لنا الديوان بـكامله، وإنما نقـل منه مختارات من شـعره عليه السـلام، وقـد بـذلنا جهدنا في الحصول على هذا الديوان دون جدوى، نسأل المولى جل شأنه أن يوفقنا للحصول على هذا السفر القيم من تراثنا الجامع بـين الأدب والاجتماع، والعظة والإرشاد.

إلا أن الأربـلي لم يفته أن يذكر معالم هذا الديوان بـاختصار حـيث يفهم من كلامه أنه بــدأ الديوان بقـوله: «قال أبـو مخنف لوط بـن يحيى أكثر ما يرويه الناس من شعر...»، وأنهاه بقـوله: «تم شـعر مولانا الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو عزيز الوجود».

ويبـدو أن الأربـلي هو الوحـيد الذي ذكر لأبي مخنف هذا الديوان حيث لم نعثر على ذكر له في مظانه ممن ترجمه أو ذكر مثل هـذه المصنفات أمثال الذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهراني وكشـف الظنون لحاجي خليفة وقد فصّلنا الحديث عن هذا في محله[٦].

١ـ لوط بـن يحيى الأزدي: هو حـفيد سـعيد بـن منخف بـن سليم أو سالم بن حارث بن عوف بن ثعلبة بـن سعد بـن مناة الغامدي، وأبـو مخنف هو كنيته، وكان من شـيوخ أصحـاب الأخبـار في الكوفة ومؤرخيها ومحدثيها، يعد من أعلام الإمامية، له صحبـة مـع الإمـام الصـادق عليـه السلام، بل تتلمذ عليه وأدرك عهد إمامته كاملة (١١٤ـ١٤٨هـ).

٢ـ الأربلي: هو علي بن عيسى بـن أبي الفتح المتوفى ببغداد عام ٦٣٩هـ، أصله من إربـل شمال العراق، سـكن بـغداد، كان منشئا في إربـل، وعمل في بغداد بـديوان الإنشاء، كان أديبا شاعرا، من علماء الإمامية، له من المؤلفات: طيف الإنسـاء، حياة الإمامين زين العابدين ومحمد الباقر.

٣ـ عبــد الرحمن بــن نجبــة الخزاعي: لم نعثر على مثل هذه الشــخصية في كتب التاريخ والرجال والرواة، ويتضح من عبارة أبي مخنف أنه كان من الثقات ومن المتصلين بأهل البيت عليهم السـلام، ونحتمل والله العالم أن اسـم أبـيه اختلط مع صاحبه المسيب بن رافع ولعل الصحيح فيها عبـد الرحمن بـن أبي رافع الراوي عن عبـد الله بـن جعفر، والمسيب بـن نجبـة الفزاري المقـتول عام ٦٥هـ في واقـعة عين الوردة صاحـب سليمان بن صرد.

٤ـ المسـيب بـــن رافع المخزومي: لم نعثر على هذه الشـخصية كصاحبـه وسبـق واحـتملنا أن يكون هو مسـيب بـن نجبـة الفزاري، نعم هناك شـخصية كالتالي: المسـيب بـــن رافع الأســدي الكاهلي الكوفي المتوفى عام ١٠٥هـ كان مكفوفا روى عن البراء بن عازب وروى عنه الأعمش.

٥ـ كشف الغمة: ٢/٢٤٥.

٦ـ ديوان الإمام الحسين عليه السلام من الشعر المنسوب إليه: محمد صادق الكرباسي ـ ج١، ص٢٠ـ٢٣.

شعراء قالوا في الإمام الحسين عليه السلام — **الحلقة الثانية**

النصائح الخالصة

ثلاثون بيتا من الكامل

القصيدة من الشـعر المنسـوب إلى علي بـن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السـلام) المتوفى سـنة ٤٠ هـ وتحتوي على نصائح ثمينة وكلمات نفيسة وقد وردت في: ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقـيق السيد محسن الأمين وعلق السـيد عليها بـأنها أبيات يُدّعى أنها وصية للإمام الحسـين عليه السلام وأضاف: فإنها مع ركاكة جملة منها وعدم تناسب أبياتها مشتملة على اللحن في البيت الثاني، وإن كان لو وجد احـتمال صحـة النسبـة أمكن الحمل على الاقــواء الذي كان كثير الوقوع في شعر فصحاء العرب.

١ـ أحســن إني واعظ ومؤدب
فافهم فأنت العاقــل المتأدبُ

٢ـ واحـفظ وصية والد متحـنن
يغذوك بـالآداب كيلا تعطب

٣ـ أبـني إن الرزق مكفول بـه
فعليك بـالإجمال فيما تطلب

٤ـ لا تجعلن المال كسبـك مفردا
وتقـى إلهك فاجعلن ما تكسـب

٥ـ كفل الإله بـرزق كل بـرية
والمـال عاريـة تجـيء وتذهـب

٦ـ والرزق أسـرع من تلفت ناظر
سبـبا إلى الإنسـان حـين يسبب

٧ـ ومن السـيول إلى محل قـرارها
والطير للأوكار حـين تصوب

٨ـ أبـني إن الذكر فيه مواعظ
فمن الذي بـعظاته يتأدب

٩ـ فاقـرأ كتاب الله جهدك واتله
فيمن يقـوم بـه هناك وينصب

١٠ـ بـتفكر وتخشـع وتقـرب
إن المقـرب عنده المتقـرب

١١ـ واعبـد إلهك ذا المعارج مخلصا
وانصت إلى الأمثال فيما تضرب

١٢ـ وإذا مررت بـآية وعظية
تصف العذاب فقل ودمعك يسكب

١٣ـ يا من يعذب من يشاء بـعدله
لا تجعلـني في الذيـن تعـذب

١٤ـ إني أبـوء بـعثرتي وخطيئتي
هربـا إليك وليس دونك مهرب

١٥ـ وإذا مررت بـآية في ذكرها
وصف الوسيلة والنعيم المعجب

١٦ـ فاسأل إلهك بالإنابـة مخلصا
دار الخلود سـؤال من يتقـرب

١٧ـ واجهد لعلك أن تحل بـأرضها
وتنال روح مسـاكن لا تخرب

١٨ـ وتنال عيشا لا انقطاع لوقته
وتنال ملك كرامة لا يسـلب

١٩ـ بـادر هواك إذا هممت بـصالح
خوف الغوالب أن تجيء وتغلب

٢٠ـ وإذا هممت بسيئ فاغمض له
وتجنب الأمـر الـذي يتجنب

٢١ـ واخفض جناحك للصديق وكن له
كأب على أولاده يتحـدب

٢٢ـ والضيف أكرم ما استطعت جواره
حـتى يعدك وارثا يتنسـب

٢٣ـ واجعل صديقك من إذا آخيته
حـفظ الإخاء وكان دونك يضرب

٢٤ـ واطلبهم طلب المريض شفاءه
ودع الكذوب فليس ممن يصحب

٢٥ـ واحفظ صديقك في المواطن كلها
وعليك بـالمرء الذي لا يكذب

٢٦ـ واقل الكذوب وقربه وجواره
إن الكذوب ملطخ من يصحـب

٢٧ـ يعطيك ما فوق المنى بلسـانه
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

٢٨ـ واحذر ذوي الملق اللئام فإنهم
في النائبـات عليك ممن يخطب

٢٩ـ يسعون حول المرء ما طمعوا به
وإذا نبـا دهر جفوا وتغيبـوا

٣٠ـ ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي
والنصح أرخص ما يباع ويوهب[١]

---

(١) ديوان القـرن الأول. محـمد صادق الكرباسي، ج١ ص٤٢ـ٤٥.

ما هي المعجزة؟

الحلقة الأولى



النبي ـ أي نبي ـ صاحب رسالة يريد أن ينفذ بها إلى قلوب الناس وعقولهم، ليصنع الإنسان الأفضل الذي يريده الله على وجه الأرض، ولا يمكنه أن يحقق هذا الهدف ما لم يكسب إيمان الناس بنبوته، واعتقادهم بصدق دعواه في ارتباطه بالله والأرض، لكي يتاح له أن يستلم زمام قيادتهم ويغذيهم برسالته ومفاهيمها ومبادئها.

والناس لا يؤمنون بدون دليل إذا كانت الدعوى التي يدعوهم إليها ذات حجم كبير، وتقترن بالمشكلات والمصاعب وترتبط بعالم الغيب، فلا يمكن للنبي أن يدعوهم إلى الإيمان به، وبرسالته، ويكلفهم بذلك ما لم يقدم لهم الدليل الذي يبرهن لهم على صدق دعواه، وكونه رسولا حقا من قبل الله تعالى، فكنا لا نصدق في حياتنا الاعتيادية شخصا يدعي تمثيل جهة رسمية ذات أهمية كبيرة مثلا، ما لم يدعم دعواه بالدليل على صدقه، ونرفض مطالبته لنا بتصديقه من دون برهان، كذلك لا يمكن للإنسان أن يؤمن برسالة النبي ونبوته إلا على أساس الدليل.

والدليل الذي يبرهن على صدق النبي في دعواه هو المعجزة، وهي: أن يحدث تغييرا في الكون ـ صغيرا أو كبيرا ـ يتحدى به القوانين الطبيعية التي ثبتت عن طريق الحس والتجربة.

فمن وضع الماء على النار ليكون حارا فارتفعت درجة حرارته، يطبق قانونا طبيعيا عرفه الناس عن طريق الحس والتجربة، وهو انتقال الحرارة من الجسم الحار إلى الجسم الذي يجاوره، وأما من ادعى انه يجعل الماء حارا بدون الاستعانة بأي طاقة حرارية، وحقق ذلك فعلا فهو يتحدى قوانين الطبيعة التي يكشف عنها الحس والتجربة، ومن أبرأ مريضا بإعطائه مادة مضادة للميكروب الذي أمرضه، يطبق قانونا طبيعيا يعرفه بالتجربة، وهو أن هذه المادة بطبيعتها تقتل الميكروب الخاص. وأما من أبرأ المريض بدون إعطاء أي مادة مضادة، فهو يتحدى قوانين الطبيعة التي يعرفها الناس بالتجربة، ويحقق المعجزة.

فإذا أتى النبي بمعجزة من هذا القبيل، كانت برهانا على ارتباطه بالله تعالى، وصدقه في دعوى النبوة، لأن الإنسان بقدرته الاعتيادية، لا يمكنه أن يغير في الكون شيئا، إلا بالاستفادة من القوانين الكونية التي يعرفها عن طريق الحس والتجربة، فإذا استطاع الفرد، أن يحقق تغيرا يتحدى به هذه القوانين، فهو إنسان يستمدّ قدرة استثنائية من الله تعالى، ويرتبط به ارتباطا يميزه عن الآخرين. الأمر الذي يفرض علينا تصديقه إذا ادعى النبوة.

الفرق بين المعجزة والابتكار العلمي

وعلى ضوء ما قلناه نعرف أن سبق النوابغ من العلماء في الحقول العلمية، لا يعدّ معجزة فإذا افترضنا أن شخصا من العلماء اليوم سبق أنداده ونجح في اكتشاف الورم السرطاني مثلا، والمادة التي تقضي عليه، فهو يستطيع بحكم اكتشافه أن يبرئ مريضا من السرطان، بينما يعجز عن ذلك جميع العلماء الآخرين، ولكن عمله هذا ليس معجزة، لأنه إنما يتحدى جهل العلماء الآخرين بالسر والعلة والدواء، ولا يتحدى القوانين الكونية التي تثبت بالحس والتجربة، بل هو إنما استطاع أن يبرئ المريض من السرطان على أساس تجربة فذة قام بها في مختبره العلمي، فاكتشف قانونا لم يعرفه غيره حتى الآن. ومن الواضح ان معرفته بالقانون الطبيعي عن طريق التجربة، ليست تحديا للقانون، وإنما هو تطبيق للقانون الطبيعي، وإنما تحدى بذلك زملاءه الذين عجزوا عن اكتشاف القانون قبله.

القرآن هو المعجزة الكبرى

وما دمنا قد عرفنا أن المعجزة هي أن يحدث النبي تغييرا في الكون يتحدى به القوانين الطبيعية، فمن الميسور أن نطبق فكرتنا هذه عن المعجزة على «القرآن الكريم» الذي أحدث تغييرا هائلا، وثورة كبرى في حياة الإنسان، لا تتفق مع المألوف والمجرب من القوانين الكونية والسنن التأريخية للمجتمع.

فنحن إذا درسنا الوضع العالمي، والوضع العربي والحجازي بصورة خاصة، وحياة النبي قبل البعثة، ومختلف العوامل والمؤثرات التي كانت متوفرة في بيئته ومحيطه، ثم قارنا ذلك بما جاء به الكتاب الكريم، من رسالة عظمى، تتحدى كل تلك العوامل والمؤثرات، وما أحدثه هذا الكتاب من تغيير شامل، كامل، وبناء لأمة تملك أعظم المقومات والمؤهلات، إذا لاحظنا كل ذلك، وجدنا أن القرآن معجزة كبرى، ليس لها نظير لأنه لم يكن نتيجة طبيعية لتلك البيئة المنخفضة بكل ما تضم من عوامل ومؤثرات، موجوده إذن يتحدى القوانين الطبيعية ويعلو عليها، وهدايته، وعمق تأثيره لا تفسره تلك العوامل والمؤثرات.

ولكي يتجلى ذلك بوضوح يمكننا أن نستعرض البيئة التي أدى فيها القرآن رسالته الكبرى، ونقارن بينها وبين البيئة التي صنعها، والأمة التي أوجدها.

بعض أدلة إعجاز القرآن

وبهذا الصدد يجب أن نأخذ النقاط التالية بعين الاعتبار التي يمكن أن تكون كل واحدة منها دليلا على إعجاز القرآن.

إن القرآن شع على العالم من جزيرة العرب، ومن مكة بصورة خاصة، وهي منطقة لم تمارس أي لون من ألوان الحضارة والمدنية، التي مارستها مختلف المجتمعات الراقية نسبيا يومئذ.

وكانت هذه أولى المفارقات التي برهنت على أن الكتاب لم يجر وفق القوانين الطبيعية الاعتيادية، لأن هذه القوانين التجريبية تحكم بأن الكتاب مرآة لثقافة عصره، ومجتمعه، الذي عاشه صاحب الكتاب، وتثقف فيه، فهو يعبر عن مستوى من مستويات الثقافة في ذلك المجتمع، أو يعبر على أفضل تقدير عن خطوة إلى الأمام في تلك الثقافة، وأما أن يطفر الكتاب طفرة هائلة، ويأتي بدون سابق مقدمات وبلا إرهاصات، بثقافة من نوع آخر لا تمت إلى الأفكار السائدة بصلة ولا تستلهمها، وإنما تقلبها رأسا على عقب، فهذا ما لا يتفق مع طبيعة الأشياء في حدود التجربة التي عاشها الناس في كل عصر.

وهذا ما وقع للقرآن تماماً فإنه اختار أكثر المناطق والمجتمعات تأخرا، وبداية، وضيق افق، وبعدا عن التيارات الفلسفية والعلمية، ليفاجئ العالم بثقافة جديدة، كان العالم كله بحاجة إليها، وليثبت أنه ليس تعبيرا عن الفكر السائد في مجتمعه، ولا خطوة محدودة إلى الأمام، إنما هو شيء جديد بدون سابق مقدمات.

وهكذا نعرف أن اختيار البيئة، والمجتمع، كان هو التحدي الأول للقوانين الطبيعية التي تقتضي أن تولد الثقافة الجديدة في أرقى البيئات من الناحية الفكرية والاجتماعية[1].

---

١ ـ علوم القرآن ـ محمد باقر الحكيم، ص ٨٩ ـ ٩٢.



فكرة المجتمع من أقدم الأفكار التي اهتدى إليها الإنسان، وبقيت هذه الفكرة تتطور جيلا بعد جيل إلى ان دخلت هذه الفكرة دورها الذهبي حينما جعلها العقل ميدانا لبحثه لتصير ميدانا للنظر العلمي المتزن الرصين، ويمكن عَدّ كتاب نهج البلاغة مصدراً من المصادر المهمة في دراسة الطبقات الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام، وسنتناول في هذا القسم والأقسام الأخرى التي ستأتي في الأعداد اللاحقة ان شاء الله بعض تلك الطبقات التي أولاها الإمام عليه السلام عناية خاصة في نهج البلاغة، فنظر لها في كلماته، وبين أهميتها، ووضع لها القواعد والحدود ليحافظ على حالة الاعتدال فيها والحيلولة دون وصولها إلى حدي الإفراط والتفريط، وهذه الطبقات هي:

الطبقة الثانية: القضاة

السلطة القضائية من أعظم سلطات الدولة، بها يفرق بين الحق والباطل، وبها ينتصف للمظلوم من الظالم. وحين تجنح الظروف بهذه السلطة إلى الإسفاف فإنها لا تنزل إلى الحضيض وحدها وإنما تجر معها المجتمع كله أو بعضه.

حين تنحرف تصير في عون الظالم وتعضد المجرم، وحيث إنها تنطق باسم العدالة فإنها تسكت كل فم، وتطفئ جذوة الحياة في كل إنسان يتصدى لها، فيستشري الفساد، ويعظم الجور، وتعم الفتنة، ويكون المظلوم في الخيار بين أن يرفع أمره إلى هذه السلطة فيسلب حقه باسم العدل بعد أن سلبته إياه القوة، وبين أن يسكت حتى تحين الفرصة فيستعيد حقه عن طريق العنف، وفي بعض هذا شر عظيم.

والإمام عليه السلام كان يعرف خطورة هذه السلطة وأهميتها، فكان صلوات الله وسلامه عليه يعي أن القضاء حين يصير إلى غير أهله ينقلب إلى أداة للظلم: ظلم الضعفاء، ويصير مؤسسة ترعى مصالح الأقوياء فحسب.

وقد تحدث الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة كثيراً عن هؤلاء الذين يتسنمون مناصب القضاء وليسوا لها بأهل، فيتحولون بهذا المنصب إلى أداة للشر والإفساد، فنراه يقول (.. وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس شركاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع. ويقول: وأعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان).

وقال عليه السلام: (... ورجل قمش جهلاً، موضع في جهال الأمة، عاد في أغباش الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سماه أشباه الناس عالماً وليس به، فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من ماء آجن، واكتنز من غير طائل، وجلس بين الناس قاضياً ضامناً تخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ حشواً رثاً من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ؟ فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خباط جهالات، عاش ركاب عشوات، لم يعض على العلم بضرس قاطع...).

ولأجل تفادي هذا المصير السيئ لسلطة القضاء، وضع عليه السلام نظاماً يجب أن يتبع في تأليف هذه الفئة، يضمن أن تكون على مستوى عال من الكفاءة للمهمات المناطة بها.

تؤتى السلطة القضائية من ناحيتين.

الأولى: ناحية القاضي نفسه فإذا كان غير كفء لمنصبه أسفَّ بهذا المنصب، ولم يؤد حقه المفروض.

الثانية: ناحية المنصب نفسه، فما لم يكن القاضي مستقلاً في حكمه لا يخضع لتأثير هذا وإرادة ذلك، ولم تكن هناك سلطة قضائية بالمعنى الصحيح، وإنما تكون السلطة القضائية حينئذ أداة لإلباس رأي فلان ثوب الحق وإسباغ مسحة الباطل على دعوى فلان. ولا تؤتى السلطة القضائية من غير هاتين الناحيتين.

وقد رسم الإمام في عهده إلى الأشتر ثلاثة أمور ينبغي أن تتبع في انتقاء أفراد هذه الطبقة ومعاملتهم، وإتباع هذه الأمور يكفل لهم أن يمارسوا مهمتهم بحرية، وأن يؤدوا هذه المهمة بإخلاص. هل يكفي في صلاحية الرجل للقضاء أن يكون على معرفة بمواد القانون الذي يقضي به دون اعتبار لتوفير ميزات أخرى فيه؟

إن الجواب السديد على هذا السؤال هو النفي، فلا يكفي في القاضي أن يكون على علم بمواد

القانون فحسب، لأنه إذا لم تتوفر فيه غير هذه الصفة يكون عالماً بالقانون، ولا يصلح أن يكون قاضياً، لأن منصب القضاء يتطلب من شاغله إلى جانب علمه بالشريعة، صفات أخرى فصلها الإمام في عهده، وأناط اختيار طبقة القضاة بتوفرها، وهذا يعني أن فاقدها ليس جديراً بهذا المنصب الخطير.

يجب أن يكون القاضي واسع الصدر كريم الخلق، وذلك لأن منصبه يقتضيه أن يخالط صنوفاً من الناس، وألواناً من الخلق، ولا يستقيم له أن يؤدي مهمته على وجهها إلا إذا كان على مستوى أخلاقي عال يمسكه عن التورط فيما لا تحمد عقباه.

ويجب أن يكون من الورع، وثبات الدين، وتأصل العقيدة، والوعي لخطورة مهمته وقيمة كلمته، بحيث يرجع عن الباطل إذا تبين له أنه حاد عن شريعة العدل في حكمه، ولم يصبها اجتهاده ولم يؤده إليها نظره، فلا يمضي حكماً تبين له خطؤه خشية قالة الناس.

ويجب أن يكون من شرف النفس، ونقاء الجيب، وطهر الضمير، بحيث (لا تشرف نفسه على طمع) في حظوة أو كرامة أو مال، فضلاً عن أن يتأصل فيه الطمع ويدفعه إلى تحقيق موضوعه، وذلك لأن القاضي يجب أن يجلس للحكم ضميراً نقياً، وروحاً طاهراً، وعقلاً صافياً، ونفساً متعالية عن مساف الأغراض، وألا يشغل نفسه بعرض من أعراض الدنيا، لأن ذلك ربما انحرف به من حيث لا يدري فأدان من له الحق، وبرأ من عليه الحق. لتأثره بهاجس نفسه، وهاتف قلبه، ومطمح هواه.

ويجب أن يكون من الوعي لمهمته بحيث لا يعجل في الحكم، ولا يسرع في إبرامه، وإنما عليه أن يمضي في دراسة القضية ويقتلها بحثاً ويستعرض وجوهها المختلفة، فإن ذلك أحرى أن يهديه إلى وجهة الحق وسنة الصواب، فإذا ما استغلق الأمر واشتبه عليه فلا يجوز له أن يلفق للقضية حكماً من عند نفسه، وإنما عليه أن يقف حتى ينكشف له ما غمض عنه، وينجلي له ما اشتبه عليه. هذه الصفات يجب أن تتوفر في القاضي، ويجب أن يناط اختيار الرجل لمنصب القضاء بما إذا توفرت فيه، وبذلك يضمن الحاكم ألا يشغل منصب القضاء إلا الأكفاء في عملهم، ودينهم، وبصرهم بالأمور.

قال عليه السلام: (ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك: ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجيج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء).

وهنا، كما في كل موطن، يضع الإمام بين عينيه التأمين الاقتصادي ليضمن الاستقامة والعدل وحسن السيرة. فالقاضي مهما كان من سمو الخلق، وعلو النفس، وطهارة الضمير، إنسان من الناس يجوز عليه أن يطمع في المزيد من المال، والمزيد من الرفاهية، وإذا جاز عليه أن ينحرف في ساعة من ساعات الضعف الإنساني، فتدفعه الحاجة إلى قبول الرشوة، ويدفعه العدم إلى الضعف أمام الإغراء، وإذا جاز عليه ذلك أصبحت حقوق الناس في خطر، فلا سبيل للمظلوم إلى الانتصاف من الظالم وتغدو الحكومة حكومة الأقوياء والأغنياء.

هذه أمور قدرها الإمام حق قدرها، وأدرك مدى خطرها، فوضع الضمانات لتلافيها.

وذلك يكون:

أولاً: بأن يتعاهد الحاكم قضاء قاضيه، وينظر فيما أصدره من الأحكام، فإن ذلك كفيل بأن يمسك القاضي عن الانحراف، ويستقيم به على السنن الواضحة لأنه حينئذ يعلم أن المراقبة ستكشف أمر الحكم الجائر، ووراء ذلك ما وراءه من عار الدنيا وعذاب الآخرة.

ثانياً: بأن يعطى المزيد من المال لينقطع داعي الطمع من نفسه، فيجلس للقضاء وليس في ذهنه شيء من أحلام الثروة والمال.

قال عليه السلام: (... ثم أكثر تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس).

والقاضي، بعد، إنسان يخاف: يخاف على ماله أن ينهب، ويخاف على مكانته أن تذهب، ويخاف على كرامته أن تنال، ويخاف على حياته أن يعتدي عليها بعض من حكم عليهم من الأقوياء، فإذا لم تكن لديه ضمانات تؤمنه من كل ذلك اضطره الخوف إلى أن يصانع القوي لقوته، والشرير لشره، وحينئذ يطبق القانون من جهة واحدة. يطبق على الفقراء والضعفاء الذين يؤمن جانبهم.

هذا الخوف ينشأ من عدم تأمين مركز القضاء وصيانته ضد الشفاعات، وينشأ من زجه في المساومات السياسية وغيرها، وحينئذ تكفي كلمة من قوي أو غني ليسلب القاضي مركزه ومكانته.

هذه الناحية وعاها الإمام عليه السلام وأعد لها علاجها، فيجب أن يكون القاضي، لكي يأمن ذلك كله، من الحاكم بمكانة لا يطمع فيها أحد غيره، ولا تتاح لأحد سواه، وبذلك يأمن دس الرجال له عند الحاكم، ويثق بمركزه وبنفسه، وتكسبه منزلته هذه رهبة في قلوب الأشرار يقوى بها على حملهم على الحق، وردهم إليه حين ينحرفون عنه ويتمردون عليه.

قال عليه السلام: (.. وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، ويعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا).

هذه هي الضمانات الثلاث التي وضعها الإمام عليه السلام، مبيناً فيها النهج الذي يحسن أن يتبع في انتخاب أفراد هذه الطبقة، وشارحاً كيفية معاملتهم ليؤدوا مهمتهم على نحو نموذجي.

وقد سجل الإمام بما شرعه هنا سبقاً عظيماً على إنسان اليوم، وذلك لأن استقلال مركز القضاء وعدم تأثره بأي سلطة أخرى، وتأمين الناحية الاقتصادية للقاضي، ونظام التفتيش القضائي، وجهات تنبه لها الإمام وجعلها واقعاً يخلف في حياة المجتمع آثاره الخيرة، في عصر كانت سلطة القضاء أداة يديرها الحاكمون والمتسلطون كما يحبون.

ولا شيء أدعى إلى ثقة الناس بالقضاء من نفوذ حكم القاضي على جميع الناس، حتى على من تربطهم بالحاكم الأعلى قرابة قريبة أو صداقة حميمة، فإن ذلك خليق بأن يطمئن الرجل العادي، ويدخل في روعه أنه حينما يدخل مجلس القضاء لا يواجه بنظرة احتقار. وإن الحاكم الأعلى لأحرى الناس بالمحافظة على ذلك والحرص عليه، فإذا ما اعتدى بعض خاصته على بعض الناس وجب عليه أن يرده إلى الحق حين يروغ عنه، ويرده إلى الجادة حين يؤثر العصيان.

قال عليه السلام: (وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبة ذلك بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة)[1].

---

(١) دراسات في نهج البلاغة للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص٧٥ ـ ٨٤.

الخبر والتاريخ

كلمة خبر التي استعملها العرب في صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها في اللغات السامية قصة طويلة، فيها معنى الربط والتقييد وفيها من خلال كلمة خبر معنى البحث والفحص ومعنى الأخبار أيضاً. وقد تأخرت كلمة تأريخ حتى ظهرت وفشت على الأقلام الإسلامية، ولئن اضطربت تفاسير اللغويين لأصل هذه الكلمة وشكوا في عروبتها حتى أعطوها أصلاً فارسياً: «ماه روز» قالوا إنها حرفت عنه، والأرجح أن جذورها «ورخ» جذر سامي ولكنه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية وليس عن كلمة يرج أو ياريح العبرية أو السريانية كما ورد في الموسوعة الإسلامية.

كان المسلمون قبل ذلك يستعملون لمعنى التاريخ كلمة «العد». وقد روى البخاري في الصحيح قول سهل بن سعد الصحابي في ظهور التقويم الهجري «...ما عدوا من بعث النبي ولا من وفاته. ما عدوا إلا من مقدمِهِ المدينة». وإذا كانت كلمة تاريخ، تحمل في العربية منذ زمن بعيد خمسة من المعاني على الأقل هي:

١ـ سير الزمن والأحداث أي التطور التاريخي، تقابل كلمة **The History of...** وتعني ما يفهم من كلمة التاريخ الإسلامي أو تاريخ ايطاليا.

٢ـ تاريخ الرجال أو ما يقابل **The Biography**

٣ـ عملية التدوين التاريخي أو التأريخ ووصف التطور وتحليله وهي التي تقابل كلمة **Historiography**.

٤ـ علم التاريخ والمعرفة به، وكتب التاريخ وما فيها وهو ما يقابل كلمة **The History** المفردة.

٥ـ تحديد زمن الواقعة أو الحادث باليوم والشهر والسنة **The date**

إذا كان ذلك فقد مرت هذه الكلمة بأطوار عدة قبل أن تستقر فيها تلك المعاني وتحملها في الإسلام بدأت مسيرتها أولاً بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام الأول، وبعد أن استعملت الكلمة فترة من الوقت بهذا المعنى، وكسبت معنى آخر هو تسجيل الاحداث على أساس الزمن. وكان يقوم مقامها في معنى هذه العملية التاريخية: كلمة خبر، وأخبار وأخباري، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل متصل الزمن والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد في التطور في الخبر والعملية الإخبارية. وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثاني من الهجرة فما أطل القرن الثالث حتى صارت كلمة التاريخ تطلق على العالم بأحداث التاريخ وأخباره، وبأخبار الرجال وعلى الكتب التي تحوي ذلك، وحلت نهائياً محل كلمة الخبر والإخباري اللتين انحطت قيمتهما العلمية قبل أن تختفيا من الاستعمال في القرن الرابع.

ولعله من الهام أن نلاحظ أن أقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا تراجم بخلاف الرأي الذي ذكره روزنتال في هذا الصدد فقد كتب عنوانه: كتاب التاريخ، يتناول أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول من الهجرة، وهو أول كتاب نعرفه يحمل اسم هذا العلم في الإسلام. ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤/ ٨١٩ أيضاً كتاب التاريخ وكتاباً بعنوان أخبار الخلفاء. وكتب في الوقت نفسه الهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٦/ ٨٢١ كتاب التاريخ على السنين وكتاب تاريخ الأشراف الكبير. واستقرت من بعد ذلك التسمية وانتشرت واحتلت عناوين العشرات من الكتب في القرن الثالث من الهجرة. ويبدو أن كتب التراجم حملت بدورها عنوان التاريخ في تلك الفترة مع أن بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات وبالرغم من أن هذه التسمية الأخيرة استمرت وانتشرت إلا أن تسمية الإمام البخاري «محمد بن إسماعيل» المتوفى سنة ٢٥٦ لكتابه عن رجال الحديث باسم «التاريخ» تمثل مزجاً نهائياً ما بين علم التراجم والأحداث في علم واحد.

التأريخ العربي قبل الإسلام

التأريخ أي الإحساس بمرور الزمن والأحوال عبر جيل بعد جيل وتسجيل ذلك الإحساس على صورة من الصور «قد تكون أسطورة أو قصة أو نسباً أو أغنية أو نقشاً أو سجل أحداث» هو ممارسة إنسانية تعمق وتتبلور مع الارتقاء في الدرجة الحضارية. وعرب ما قبل الإسلام لم يكونوا بعيدين عن التاريخ، وكل جماعة منهم كان لها على طريقتها وبمقدار سويتها الحضارية تأريخها الخاص بعضه مدون أو منقوش وبعضه شفهي. وهو تراث واسع من الكتابات والنقوش والأخبار العديدة جداً والمتفاوتة في الأهمية تفاوتها في الصحة والصدق وما كانت كلها بالطبع مدونة بلغة قريش والقرآن الكريم.

فعرب اليمن، في الجنوب ... لهم على أوابدهم الأثرية والمعابد والقلاع والسدود نقوشهم بالمسند، خطهم الخاص، وبلغة الجنوب خاصة، يذكرون فيها مختلف الفعاليات من أعمال الدين والخبر والجزية وبناء الأسوار والمعابد والحصون والحملات العسكرية. وقد دخل اليهم بعد سنة ١١٥ ق.م تقويم ثابت.

ويشير الهمداني في كتابه الإكليل إلى «ما أدخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها والى «زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية» بمعنى أن ثمة تسجيلات لدى بعض الملوك والقبائل والأسر وأن ثمة عادة مألوفة بذلك استمرت بعد الإسلام حتى القرن الرابع من الهجرة. بل يذكر الدينوري نسخة حلف بين اليمن وربيعة في الجاهلية نقلها أحدهم عن حفيد آخر الحميريين مما يدل على أنه كان ثمة تسجيل وحفظ لوثائق الأمور العامة، على أنه كان من الغريب بعد هذا أن لا يبقى لنا من تاريخ

اليمن السابق للإسلام كله، مع طول عهده، سوى بعض أسماء الملوك القدماء وقصص غامضة «سداها ولحمتها المبالغة والتهويل والاختراع».

وكان لدى عرب الحيرة المناذرة: «كتب» تحوي أخبارهم وأنسابهم أشار إليها الطبري وابن هشام ويعرفون تاريخ الفرس. كما كانت لهم نقوش حاول ابن الكلبي قراءة بعضها لاستخلاص أمور تاريخية منها. ولدى العرب في الشام من تدمر إلى بطرا فمدين وجماعة ثمود وأهل الصفا «شرقي حوران» نقوشهم التسجيلية المعروفة المقروءة اليوم، وفيما عدا ذلك لم يؤثر عن الغساسنة بدورهم مؤلفات تاريخية أو نشاط تاريخي محدد مما جعل تاريخهم متأرجحاً بين ما يضم تاريخ البيزنطيين منه وما تروي الأخبار العربية البدوية. أما عرب الحجاز وبدو نجد فكان لهم في تراثهم الثقافي الشفهي قصص تاريخي يتمثل في «الأيام» المعروفة ولهم حفظ الأنساب وما يتعلق بها. لكن التاريخ العربي بعد الإسلام لم يكن تطوراً لتلك الأسس التاريخية الأولى في اليمن أو الجزيرة أو الشام. ثمة انقطاع بين العهدين لكن صلة عملية التدوين التاريخي الإسلامي بالقصص التاريخي الجاهلي وأيام العرب وبعلم الأنساب تفرض التساؤل عن مدى صلة التطور والاستمرار بين الطرفين؟

أ ـ فأما المادة التاريخية الجاهلية فنوعان: بعضها قصص ديني وثني أو يهودي أو مسيحي نقله الأحبار والرهبان معهم أو أخبار من التاريخ الفارسي كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي في القرآن. وما يحكى من أخبار الأولين، ونجد شيئاً من أصداء هذه المعارف ولا سيما بدوية المنشأ تروي النزاع القبلي، وتحمل اسم «الأيام» وتضم ذكريات التاريخ البدوي للقبائل. وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية إلا أن صلتها بالتأريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة. انها قصص مرسل مقطوع الصلة بالزمن أو يحمل فكرة جد غامضة عنه ويقدم بروايات مسجلة هي بين الأسطورة والواقعية التاريخية. وما من شك في أن هذا القصص يحمل الكثير من الحقائق التاريخية ولكن ما من شك في الوقت نفسه في أن الكثير من التحوير والزيادة قد دخل على أشكاله الأولى والتالية. واذا كان ثمة شبه بينه وبين القصص السامي العبراني والآرامي والبابلي في الطور البدوي لهذه الجماعات فإن نقله الشفهي وتأخر تسجيله بعد العهد الإسلامي أكثر من قرن قد أدخل عليه الكثير من الانطباعات الإسلامية... الدينية والسياسية ... كما تبلورت فيه خاصة صور جديدة بدوية مخترعة لعرب اليمن ولعلاقاتهم مع عرب الشمال، وللأخبار العربية وللشعر العربي، كما سادت فيها لغة قريش والخط الذي كتب به، فتراجعت لغات المناطق وألغيت الخطوط الأخرى وتطوراتها فلم يبق سوى تطور الخطين النبطي والحيري. ثم أصاب ذلك القصص كذلك، من خلال النقل، اضطراب تاريخي قوامه الاختلاط الحادثي. فاختلط حادث بآخر. والانزلاق الزمني فانتقل الحدث من زمن إلى زمن، والتضخيم مع تباعد العهد فكبرت على الأيام بعض أشخاصه وصوره. ثم فرضت السياسة ومنازعات الحكم نفسها خلال «الأيام» واستخدمتها فهي صور إسلامية منسحبة على الماضي ... إن الصورة الإسلامية التي أعطيت «للجاهلية» في أيام التدوين التاريخي، في القرن الثاني للهجرة، لم تشوه ذلك العصر كله فقط ولكنها كانت كافية أيضاً لإسدال حجاب كثيف على ما سبقه من عصور عربية. ولنلاحظ من بعد أن هذه الأيام والقصص لم تستطع أن تدل، حتى في العهد الإسلامي، على نمو في الشعور التاريخي لدى ناقليها. لم تعاونهم على التطور في المفهوم الزمني التسجيلي ولا التسلسل في الأحداث أي على «التاريخية» فظلت جزءاً من الأدب ومن فكاهة الأسمار ... حتى ما بعد قرون.

ب ـ وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعارف والتمايز. انها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يحفظ تكوينها. هي في الواقع: التاريخ الانتروبولوجي التقليدي والهيكل العظمي للفكرة التاريخية. وبالرغم من أنها أكثر تاريخية من القصص بوصفها شكلاً من أشكال التعبير التاريخي يسجل إطار التكوين القبلي إلا أن المعلومات النسبية الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة بعد الإسلام، وتحوم حول شكلها المسجل لدينا من بعد شكوك كثيرة، منها أنها تقسم العرب أفقياً تقسيماً ثلاثياً أو ثنائياً، «عاربة مستعربة وبائدة» ثم تقسمهم شاقولياً إلى أقسام منفصلة بمعنى أن العرب ليسوا شعباً واحداً ولكنهم تركيب مزجي استمر خلال العصور الطويلة محتفظاً بعناصره المكونة دون تفاعل أو امتزاج وهو إن صح في بعض القبائل البدوية المنعزلة فليس يصح لعرب الجنوب الذين قضوا في حياة الاستقرار حوالى عشرين قرناً قبل الإسلام ولا لعرب الشام أو الحيرة. ومن العجيب أن لا يذكر الشعر الجاهلي اطلاقاً عدنان ولا قحطان وأعجب منه أن لا نجد ذكراً لأي منهما في أي نقش أو أثر يمني قديم أو ثمودي أو صفوي وهي نقوش تعد بعشرات الألوف. هذا إلى اضطراب الناس في مفهوم العاربة والمستعربة والبائدة وفي ارتباط القبائل بعضها مع بعض ... واضطرابهم في تفسير أسماء القبائل التي قد تدل على تقسيم جغرافي لا انتروبولوجي وعلى تباين مكاني لا عرقي واختلاف حضاري لا في الأصل والجنس. ولو حسبنا أجداد القبائل حتى ظهور الإسلام على أساس معدل معقول للأعمار لوجدنا أن أقدمها لا يجاوز في الوجود ٣٠٠ ـ ٥٠٠ سنة وكفى بذلك ريبة. ثم إننا لا نعرف من الأنساب بشكل فيه بعض السعة إلا ما اتصل بقريش وبعض الحجاز، وتصنف المعلومات بوضوح ثم تضطرب ثم تختلط كما ابتعدنا عن هذا المركز وخاصة ان وصلنا اليمن، ثم تموت في مناطق عمان فهي الضباب والإبهام.

وقد انتقلت الأنساب بالرواية عبر القرن الإسلامي الأول إلى عصر التسجيل، في القرن الثاني. ولم يضعف اهتمام العرب بها كثيراً رغم استقرارهم الحضري لأنها ركبت السياسة أو أن السياسة ركبتها فأخذ النسب شكل النزاع القائم، وكان قناعاً للأطماع وتنازع النفوذ والتنافس في الرزق والمركز. ولم يبق شيء من سجلات عمر التي سجلها للدواوين. وما من شك في أن سجلات أخرى قد وجدت في بعض الأمصار ـ فهي من مستلزمات الغنائم والعطاء والأرزاق ـ ولكنها بدورها ضاعت وانما بقي لنا روايات الناسبين. ولكنها حين سجلت لم تحمل معها الكثير من المادة التاريخية وظلت حتى في القرون التالية وحتى القرن السابع وما بعده علماً مستقلاً يرفد التاريخ لكن لا يندمج فيه. وهذا يعني أن النسب لم يسهم إلا قليلاً في ايجاد الأدب التاريخي، وفي تكوين صورة التاريخ الإسلامي. وهذا التاريخ لم يقم بالاعتماد عليه ولكن بالاعتماد على أسس وعوامل أخرى[1].

١ ـ التاريخ العربي والمؤرخون ـ شاكر مصطفى، ج١ ـ ص٤٩ ـ ٥٦.

تأثير التربية على الأخلاق



الخلق عبـــارة عن «ملكة للنفس مقـــتضية لصدور الأفعال بسهولة من دون احتياج إلى فكر وروية» والملكة: كيفية نفســانية بــطيئة الزوال. وبالقــيد الاخير خرج الحال لأنها كيفية نفســانية سريعة الزوال، وسبب وجود الخلق إما المزاج كما مر، أو العادة بـان يفعل فعلا بـالروية، أو التكلف ويصـبر عليه إلى أن يصير ملكة لـه ويصدر عنه بسهولة وان كان مخالفا لمقتضى المزاج.

واختلـف الأوائـل في امكـان ازالة الأخـلاق وعدمه، وثالث الأقـوال أن بعضها طبــيعي يمتنع زواله وبعضها غيرطبــيعي حــاصل من اسبــاب خارجـة يمكـن زوالـه. ورجــح المتأخــرون الأول وقالوا: ليس شيء من الأخلاق طبيعيا ولا مخالفا للطبــيعة، بــل النفس بــالنظر إلى ذاتها قابـلة للاتصاف بـكل من طرفي التضاد، إما بسـهولة ان كان موافقـا للمزاج، أو بعسـر ان كان مخالفا له، فاختـلاف النـاس في الأخـلاق لا ختلافهـم في الاختيار والمزاولة لأسباب خارجة.

(حجة القول الأول) أن كل خلق قابل للتغيير وكل قابل للتغيير ليس طبيعيا فينتج لا شــيء من الخلق بطبـــيعي والكبرى بــديهية، والصغرى وجدانية، فانا نجد أن الشرير يصير بمصاحبته الخيّر خيّراً، والخيّر بمجالسته الشرير شـريراً. ونرى أن التأديب «في السياســات» فيه أثر عظيم في زوال الاختلاف، ولولاه لم يكن لقـــوة الروية فائدة وبطلت التأديبات والسياسات وأُلغيت الشـرائع والديانات.

ولما قال الله سبحانه (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّـٰهَا)[1]، ولما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «حسنوا اخلاقــكم»، ولما قــال: «بــعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ورد: بمنع كلية الصغرى فانا نشاهد ان بعض الأخلاق في بــعض الأشـــخاص غير قابــل للتبــديل(لا) ســيما ما يتعلق بالقـــوة النظرية، كالحدس والتحــفظ، وجودة الذهن، وحســن التعقـل، ومقابـلاتها كما هو معلوم من حــال بعض الطلبة، فانه لا ينجح سعيهم في التبديل مع مبالغتهم في المجاهدة.

وما قــيل: من لزوم تعطل القـــوة المميزة وبطلان التأديب والسياسـات مردود: بـان هذا اللزوم إذا لم يكن شيء من الأخلاق قابلا للتغيير، وأما مع قبول بـعضها أو اكثرها له فلا يلزم شيء مما ذكر، ولو كان عدم قبــول بــعض الأخلاق التغيير موجبــا لـبطلان علم الشــرائع والأخلاق لكان عدم قبول بعض الأمراض للصحة مقـتضيا لبـطلان علم الطب، مع انا نعلم بـديهة ان بـعض الأمراض لا يقبل العلاج.

و (حــجة القـول الثاني) ان الاخلاق باسـرها تابـعة للمزاج، والمزاج لا يتبـدل، واختلاف مزاج شخص واحـد في مراتب سنه لا ينافي ذلك لجواز تابــعيتها لجميع مراتب عرض المزاج، وأيد ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(النـاس معـادن كمعــادن الذهــب والفضـة خيارهم في الجاهلية خيارهم ـ في ـ الإسلام)

وبقـــوله صلى الله عليه وآله وســلم: (إذا سمعتم ان جبــلا زال عن مكانه فصدقــوه، وإذا سمعتم بـرجل زال عن خلقـه فلا تصدقـوه، فانه

سيعود إلى ما جبل عليه).

و(الجواب) ان توابع المزاج من المقتضيات التي يمكن زوالها لا من اللوازم التي يمتنع انفكاكها، لما ثبت في الحكمة من أن النفوس الإنسانية متفقة في الحقيقة، وفي بدو فطرتها خالية عن جميع الأخلاق والأحوال كما هو شأن العقل الهيولائي. ثم ما يحصل لها منهما إما من مقتضيات الاختيار والعادة أو استعدادات الأبدان والأمزجة، والمقتضى ما يمكن زواله كالبرودة للماء، لا ما يمتنع انفكاكه كالزوجية للأربعة والخبر الأول لا يفيد المطلوب بوجه. والثاني مع عدم ثبوته عندنا يدل على خلاف مطلوبهم، لان قوله: (سيعود إلى ما جبل عليه) يفيد امكان ازالة الخلق بالأسباب الخارجية من التأديب والنصائح وغيرهما، وبعد إزالته بها يعود بارتفاعها كبرودة الماء التي تزول ببعض الأسباب وتعود بعد زوال السبب، فلو دام على حفظ الأسباب وابقائها لم يحصل العود أصلا.

وإذ ثبت بطلان القولين الأولين فالحق القول بالتفصيل، يعني قبول بعض الأخلاق بل أكثرها بالنسبة إلى الأكثر التبديل للحس والعيان، ولبطلان السياسات والشرائع لولاه ولامكان تغير خلق البهائم، إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى الأنس والفرس من الجماح إلى الانقياد والكلب من الشراهة إلى التأدب، فكيف لا يمكن في حق الإنسان، وعدم قبول بعضها بالنسبة إلى البعض له، للمشاهدة والتجربة، وهذا البعض مما لا يكون التعلق التكليف كالأخلاق المتعلقة بالقوة العقلية من الذكاء والحفظ وحسن التعقل وغيرها. والتصفح يعطي اختلاف الأشخاص والأخلاق في الإزالة والاتصاف بالضد بالإمكان والتعذر والسهولة والتعسر وبالتقليل والرفع بالمرة، ولذا لو تصفحت أشخاص العالم لم تجد شخصين متشابهين في جميع الأخلاق، كما لا تجد اثنين متماثلين في الصورة. ويشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اعملوا فكل ميسّر لما خلق له».

وقال ارسطاطاليس: «يمكن صيرورة الاشرار اخياراً بالتأديب إلا أن هذا ليس كليا، فانه ربما أثر في بعضهم بالزوال وفي بعضهم بالتقليل وربما لم يؤثر أصلا».

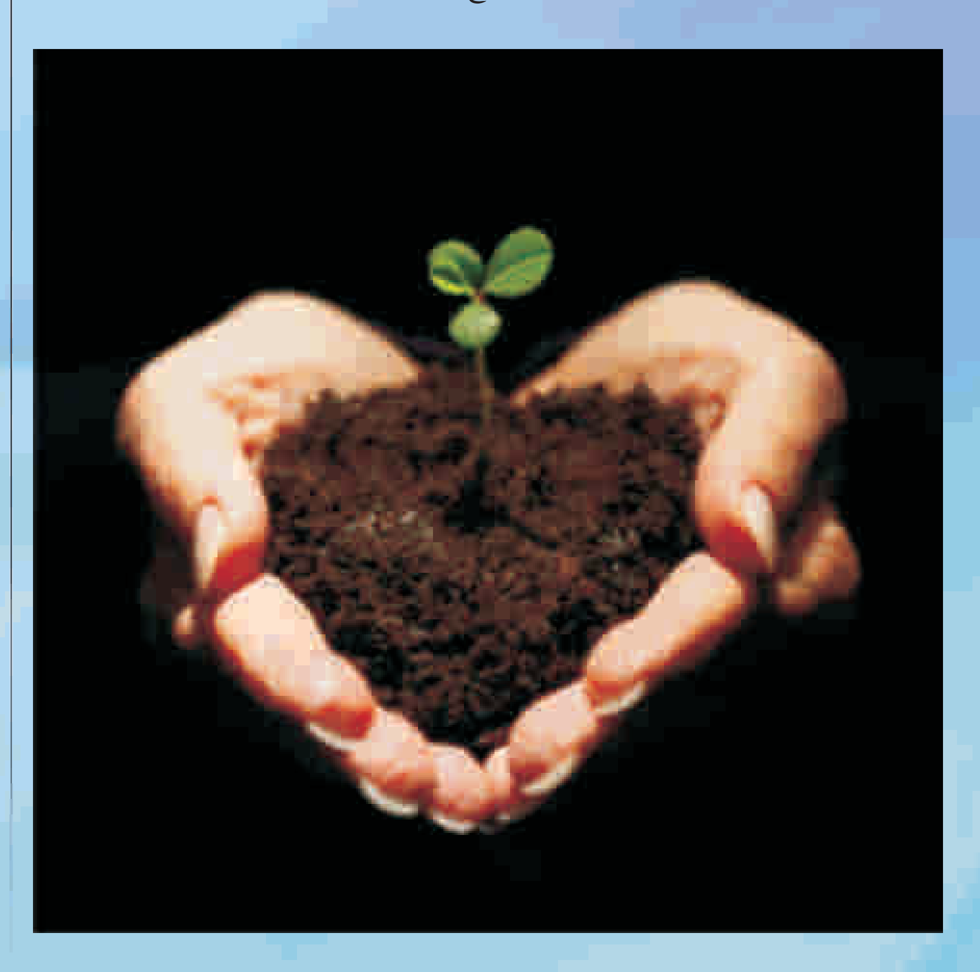
ثم المراد من التغيير ليس رفع الغضب والشهوة مثلا واماطتهما بالكلية فان ذلك محال لانهما مخلوقتان لفائدة ضرورية في الجبلة، إذ لو انقطع الغضب عن الإنسان بالكلية لم يدفع عن نفسه ما يهلكه ويؤذيه وامتنع جهاد الكفار، ولو انعدم عنه شهوة الطعام لم تبق حياته، ولو بطل عنه شهوة الوقاع بالمرة لضاع النسل، بل المراد ردهما من الافراط والتفريط إلى الوسط فالمطلوب في صفة الغضب خلو النفس عن الجبن والتهور، والاتصاف بحس الحمية، وهو ان يحصل إذا استحسن حصوله شرعا وعقلا، ولا يحصل إذا استحسن عدمه كذلك. وكذا الحال في صفة الشهوة.

ولا ريب في أن رد بعض الموجودات الناقصة من القوى وغيرها إذا وجدت فيه قوة الكمال إلى كماله ممكن إذا كان له شريط يرتبط باختيار العبد، فكما أن النواة يمكن أن تصير نخلا بالتربية، لوجود قوة النخلية فيه، وتوقف فعليتها على شرط التربية التي بيد العبد، فكذلك يمكن تعديل قوتي الغضب والشهوة بالرياضة والمجاهدة، ولوجود قوة التعديل فيهما، وتوقف فعليتهما على شرط ارتبط باختيار العبد أعني الرياضة والمجاهدة، وإن لم يمكن لنا قلعهما بالكلية، كما لا يمكن لنا إعدام شيء من الموجودات، ولا إيجاد شيء من المعدومات.

ثم شرائط الرد تختلف بالنسبة إلى الأشخاص والأخلاق، ولذا نرى ان التبديل يختلف باختلاف مراتب السياسات والتأديب، فيمكن ان لا يرتفع مذموم خلق بمرتبة من التأديب، ويرتفع بمرتبة منه فوقها، والأسهل قبولاُ لكل خلق الأطفال لخلو نفوسهم عن الأضداد المانعة من القبول، فيجب على الآباء تأديبهم بالآداب الجميلة، وصونهم عن ارتكاب الأعمال القبيحة، حتى تعتاد نفوسهم بترك الرذائل، وارتكاب الفضائل، والمؤدب الأول هو الناموس الإلهي، والثاني أولو الأذهان القويمة من أهل المعارف الحقة، فيجب تقييد من يراد تأديبه بالنواميس الربانية أولا، وتنبيهه بالحكم والمواعظ ثانيا[٢].

١ـ الشمس ـ الآية، ٩.

٢ـ جامع السعادات ـ محمد مهدي النراقي، ج١ ـ ص٣٥ ـ ٣٩.



العدل
في اللغة والاصطلاح

للعدل في اللغة أكثر من مدلول ومن أهمها المدلولان التاليان المرتبطان بموضوعنا وهما :

١ : العدل بمعنى الاستقامة في الفعل بوضع الشيء في موضعه.

٢ : العدل بمعنى الإنصاف الذي يأتي وسطا بين الظلم والتفضل «الإحسان».

والعدل : اسم من أسمائه الحسنى، وهو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل «عادل» بمعنى «ذي العدل». وهو أنه تعالى لا يظلم ولا يجور ولا يجحف في حق ذي حق. هذا في اللغة.

واما في الاصطلاح فهو : «عدم فعل القبيح، وعدم الإخلال بالواجب، وعدم التكليف بما لا مصلحة فيه» (خلاصة علم الكلام للدكتور عبد الهادي الفضلي ص١٤٢).

العدل التكويني والتشريعي والجزائي

إن موارد العدل بالنسبة إلى الله تعالى يجمعها أقسام ثلاثة :

١ : العدل التكويني : وهو إعطاؤه تعالى كل موجود ما يستحقه ويليق به من الوجود، فلا يهمل قابلية، ولا يعطل استعدادا في مجال الإفاضة والإيجاد.

٢ : العدل التشريعي : وهو أنه تعالى لا يهمل تكليفا فيه كمال الإنسان وسعادته، وبه قوام حياته المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، كما أنه لا يكلف نفسا فوق طاقتها.

٣ : العدل الجزائي : وهو أنه تعالى لا يساوي بين المصلح والمفسد والمؤمن والمشرك في مقام الجزاء والعقوبة، بل يجزي كل إنسان بما كسب، فيجزي المحسن بالإحسان والثواب، والمسيء بالإساءة والعقاب، كما أنه تعالى لا يعاقب عبدا على مخالفة التكاليف إلا بعد البيان والإبلاغ .

الفرق بين «المساواة» و«العدالة»

ولابدّ من الإشارة إلى التمييز ما بين «المساواة» و«العدالة» لان البعض يتصور بان العدالة معناها ان يعطي الله سبحانه جميع الموجودات مقدارا واحدا من الرزق او المال او النعم او غير ذلك من الألطاف والفيوضات، وهذا المعنى مغلوط لان المساواة ليست شرطاً من شروط العدالة، بل العدالة هي إعطاء كل حق لمستحقه وأخذ الأولويات بنظر الاعتبار.

فالعدالة بين تلاميذ صف واحد، ليست في منح جميعهم درجات متساوية، وليست العدالة بين العمال في إعطائهم أجورا متساوية. بل العدالة هي أنْ ينال كلّ تلميذ الدّرجة التي يستحقها بمعلوماته ولياقته العلمية، وأنّ ينال كل عامل اُجرته بحسب أهمية العمل الذي يؤديه.

والعدالة في عالم الطبيعة تدخل ضمن هذا المعنى الواسع، فلو أنّ قلب حوت (البالن) الذي يزن طناً واحداً قد ساوى قلب عصفور لا يكاد يزن أكثر من بضعة غرامات، ما كان ذلك عدلا، ولو تساوت جذور شجرة ضخمة مع جذور نبتة صغيرة ما كان ذلك عدلاً، بل لكان ظلماً فاضحاً. فالعدالة، إذن، هي أن ينال كل كائن نصيبه بموجب استحقاقه واستعداده ولياقته.

الأدلة على عدل الله سبحانه

الأدلة على عدل الله عز وجل كثيرة، نذكر دليلين منها :

الدليل الأول: قد ثبت جزما في مباحث الصفات الإلهية التي استعرضناها في الأعداد السابقة ان للموجودات مراتب مختلفة من الكمال، وان مرتبة الذات الإلهية هي في أعلى مراتب الكمال حيث لا يلحقها أو يشوبها أي نقص، وفعل القبيح، والإخلال بالواجب، والتكليف بما لا مصلحة فيه نقص لا كمال فيها فتكون منفية عن ذاته قطعا.

وبعبارة أخرى : (إنّ العقلَ البشريّ السليمَ يدرك بنفسه حسنَ الاَفعال وقبحها، ويعتبر الفعلَ الحَسَن علامةً لكمال فاعله، والفعلَ القبيحَ علامةً لنقصان فاعله. وحيث إنّ الله مستجمعٌ بذاته لجميع صفات الكمال، لهذا فاَنّ فعلَه كاملٌ ومحمودٌ، وذاته المقدّسة منزّهةٌ عن كل فعلٍ قبيح).

الدليل الثاني: فلو كان سبحانه يفعل الظلم والقبح ـ تعالى عن ذلك ـ فان الأمر في ذلك لا يخلو عن أربع صور :

أ : ان يكون جاهلا بالأمر فلا يدري أنه قبيح، وهذا الفرض باطل لاستلزامه الجهل والجهل نقص وكل نقص منفي عن ذات الله سبحانه لان ذاته عين الكمال ولان علمه مطلق لا حد له.

ب : ان يكون عالما به ولكنه مجبور على فعله وعاجز عن تركه، وهذا أيضا باطل لان صفتي العجز والإجبار منتفيتان عنه سبحانه لأنها نقص وذاته المقدسة كاملة، ولان قدرته سبحانه مطلقة غير محدودة وكونها مطلقة لا تتناسب مع كونه مجبرا عاجزا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ج : ان يكون عالما به وغير مجبور عليه ولكنه محتاج إلى فعله، وهو باطل ايضا ما ثبت مسبقا من ان الله سبحانه غير محتاج إلى شيء أبدا فذاته المقدسة غنية عن كل موجود او فعل فهو قائم بذاته مستغنٍ عن خلقه.

د : ان يكون عالما به وغير مجبور عليه ولا يحتاج إليه لكنه يفعله بهدف العبث واللهو، وهو باطل أيضا لان من صفاته سبحانه كونه حكيما والحكمة تتعارض مع العبث واللهو.

وبإسقاط هذه الفروض الأربعة يثبت كونه سبحانه عادلا لا يفعل القبيح ولا يرتكب الظلم ولا يكلف ما لا يطاق أو ليس فيه مصلحة.

ولقد أشار الشيخ الصدوق إلى هذا المعنى بقوله : «والدليل على أنّه لا يقع منه عزّ وجلّ الظلم ولا يفعلهُ أنّه قد ثبت أنّه تبارك وتعالى قديم غنيٌ عالم لا يجهل، والظلم لا يقع إلاّ من جاهل بقبحه أو محتاج إلى فعله منتفع به».

كما أشار إليه المحقّق نصير الدين الطوسي بقوله : «واستغناؤه وعلمه يدلاّن على انتفاء القبح عن أفعالِهِ تعالى».

شفاء سبعة مرضى في آن واحد

ذكر السيد دستغيب رحمه الله هذه القصة بقوله: يروي المرحوم الحاج محمد هاشم سلاحي، عليه الرحمة، أنه في شهر محرم تقريباً، انتشر مرض التيفوئيد في (شيراز) وقليلة كانت البيوت التي لم يكن فيها يومئذ مصاب بالمرض، والخسائر أيضاً كانت كبيرة. وقد أصيب في منزل الحاج عبد الرحيم سرافراز سبعة أفراد بالمرض، فمنّ الله تعالى عليهم بالشفاء دفعة واحدة، وذلك ببركة سيد الشهداء عليه السلام، ثم شرح الواقعة بالتفصيل. وفيما بعد التقيت بالسيد سرافراز، وسألته عن الموضوع، فذكر القصة طبقاً لما كان قد ذكره المرحوم سلاحي، فطلبت منه أن يكتب تلك الحادثة بخط يده حتى يتم إثباتها هنا، وهذا ما كتبه السيد سرافراز:

(منذ ما يقرب من عشرين سنة حين كان الناس يصابون بمرض التيفوئيد بكثرة، اجتمع في إحدى غرف بيتي سبعة أفراد مصابين بمرض التيفوئيد. وفي الليلة الثامنة من شهر محرم الحرام تركت المرضى لحالهم في البيت، وذلك للمشاركة في مجلس العزاء، وكانت الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً حين توجهت وأنا مشغول البال، إلى مجلس العزاء خاصتنا الذي كان مؤسسه المرحوم الحاج ملا علي سيف عليه الرحمة.

وبعد انتهاء مجلس العزاء، وأداء صلاة الصبح، ذهبت مسرعاً إلى المنزل وكنت في قلبي أطلب من الله تعالى بحق العزيزة الزهراء عليها السلام، شفاء المرضى السبعة. عندما وصلت إلى المنزل رأيت الأطفال وقد تحلقوا حول منقل فيه نار، يسخنون فوقها خبزاً جافاً كان قد تبقى لدينا منذ اليوم السابق، وكانوا يأكلونه بشهية.

غضبت لرؤيتي هذا المشهد، لأن أكل الخبز، وخاصة الخبز الجاف الذي مضى عليه يوم وليلة، مضر للمصاب بمرض التيفوئيد.

قالت ابنتي الكبرى وقد رأت غضبي: لقد شفينا، وغادرنا الفراش، ونحن من شدة جوعنا نأكل الخبز مع الشاي. قلت: أكل الخبز ليس مناسباً لمرض التيفوئيد.

قالت: أجلس يا أبي أقص عليك حلمي، لقد شفينا جميعنا.

قلت: حسناً، هاتي ما عندك.

قالت: رأيت في المنام أن الغرفة قد أضاءت بنور قوي، ودخل رجل إلى غرفتنا، وفرش بساطاً أسود في هذا الجزء منها، ثم وقف إلى جانب الباب بكل أدب، حينئذ دخل خمسة أشخاص في منتهى الجلالة والعظمة، وكانت بينهم امرأة جليلة، نظروا أولاً إلى رفوف الغرفة، وإلى المخطوطات التي كانت معلقة على الجدار، وقد سطرت فيها أسماء المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وبعد أن تأملوها بإمعان جلسوا على حواشي ذلك البساط الأسود، وأخرجوا مصاحف صغيرة من تحت آباطهم، وقرأوا قليلاً.

بعد ذلك شرع أحدهم بقراءة مصيبة القاسم عليه السلام بالعربية، وقد أدركت ذلك من تكرارهم لاسم القاسم عليه السلام أثناء القراءة، وكانوا جميعهم يبكون بشدة، وبخاصة تلك المرأة، فقد كانت تبكي بحرقة شديدة.

بعد ذلك أتى ذلك الرجل الذي كان جاء قبل الجميع بشيء يشبه القهوة، في أوعية صغيرة الحجم، ووضعها أمامهم. كنت أتساءل متعجبة لماذا يكون أشخاص بهذا الجلال حفاة الأقدام؟!

تقدمت إليهم وقلت: نشدتكم الله من منكم الإمام علي عليه السلام؟.

فأجاب أحدهم: أنا هو. وكان ذا هيبة ووقار.

قلت نشدتك الله، لماذا أنتم حفاة الأقدام؟.

فقال باكياً: إننا في هذه الأيام في عزاء لذلك نحن حفاة، ولاحظت أن المرأة كانت تختلف عنهم في ذلك، لأن ثوبها كان يغطي قدميها.

قلت نحن الأطفال كلنا مرضى، وأمنا أيضاً مريضة، وخالتنا مريضة هي الأخرى.

عندها قام الإمام علي عليه السلام من مكانه، ومسح بيده المباركة على رؤوسنا، ووجهنا، واحداً بعد واحد.

ثم جلس وقال: لقد شفيتم.

قلت: وأمي؟ إنها مريضة أيضاً.

قال: إن أمك يجب أن ترحل.

فبكيت لسماعي هذا الكلام وأخذت أرجوه.

فلما رأى بكائي وتضرعي قام ومسح بيده على لحاف أمي.

وإذ هموا بالخروج بعد ذلك التفت إلي وقال: عليكم بالصلاة، حتى لو كان أحدكم لا يقدر سوى أن يرمش بأهداب عينيه، فعليه أن يصلي، ثم خرجوا. مشيت في أثرهم حتى رأس الزقاق، فوجدت أن المطايا التي أحضرت لهم مجللة بالسواد.

وبعد أن ذهبوا رجعت، وأفقت عندها من نومي على صوت المؤذن يؤذن لصلاة الصبح، فرحت أتحسس أيدي إخوتي، وخالتي، وأمي، ووجدت أن الحرارة قد زالت عنا كلنا، فنهضنا جميعنا، وصلينا صلاة الصبح، ولأننا كنا نشعر بجوع شديد، فقد أعددنا الشاي، وبدأنا به مع ما وجدناه لدينا من خبز، في انتظار عودتك إلى الفطور.

هذا وقد تعافى الأفراد السبعة دون حاجة إلى طبيب أو دواء)[1].

---

(١) القصص العجيبة للسيد دستغيب ص٧٢ ـ ٧٦.

محمد بن علي البجلي مؤمن الطاق

اسمه ولقبه والإمام الذي عاصره

هو: (محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريقة البجلي مولى، الأحول أبو جعفر، كوفي، صيرفي، يلقب مؤمن الطاق وصاحب الطاق، ويلقبه المخالفون شيطان الطاق) وكنيته أبو جعفر الأحول.

واختلف في سبب تسمية المخالفين إياه باسم شيطان الطاق، قال ابن حجر: (شيطان الطاق نسب إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف بها فيقال انه اختصم مع آخر في درهم زيف فغلب فقال أنا شيطان الطاق) ويرد على ابن حجر ان أبا جعفر الأحول أعظم وأجل قدرا من ان يصف نفسه بالشيطان والعياذ بالله، وهو العالم والفقيه والورع.

وذهب البعض ان الناس بعد هذه الحادثة هم الذين أطلقوا عليه هذا اللقب، قال خير الدين الزركلي:

(لقبه الناس «شيطان الطاق» لأنهم شكوا في درهم فعرضوه عليه، فقال: ستوق «أي زائف» فقالوا: ما هو إلا شيطان الطاق).

ونحن نميل إلى ان المخالفين سموه بذلك بسبب مواقفه ومجادلاته ومناظراته معهم وهو ما صرح به ابن حجر في لسان الميزان حيث قال: (ويقال ان أول من لقبه شيطان الطاق أبو حنيفة مع مناظرة جرت بحضرته بينه وبين بعض الحرورية).

وقد عاصر مؤمن الطاق كلاً من الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه وروى عنه، والإمامين الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما، قال النجاشي رضوان الله تعالى عليه: (روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام)، وعده البرقي ممن أدرك الإمام الكاظم صلوات الله وسلامه عليه.

وثاقته وعلو منزلته

قال الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه: (وكان ثقة متكلما حاذقا حاضر الجواب)، وقال ابن داود الحلي رضوان الله تعالى عليه: (له في العلم وحسن الخاطر والفضل والدين منزلة عالية).

وقال ابن حجر في الميزان: (ان جعفراً الصادق كان يقدمه ويثني عليه وكان يشارك ويقدمه في الشعر على غيره)، وقال ابن النديم عنه: (وكان حسن الاعتقاد والهدى. حاذقا في صناعة الكلام. سريع الحاضر والجواب. وله مع أبي حنيفة مناظرات).

ورود الروايات في مدحه

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (أربعة أحب الناس إلي أحياءً وأمواتا، بريد بن معاوية العجلي، وزرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبو جعفر الأحول، أحب الناس إلي أحياءً وأمواتا).

عن أبي خالد الكابلي، قال: (رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه، فدنوت منه فقلت ان أبا عبد الله نهانا عن الكلام فقال: أمرك أن تقول لي؟ فقلت: لا ولكنه أمرني أن لا أكلم أحدا. قال: فاذهب فأطعه فيما أمرك، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلت له وقوله لي اذهب وأطعه فيما أمرك، فتبسم أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا أبا خالد ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض، وأنت ان قصوك لن تطير).

الكتب التي ألفها ودونها

قال الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه: (له كتب، منها: كتاب الإمامة، وكتاب المعرفة، وكتاب الرد على المعتزلة في امامة المفضول، وله كتاب الجمل في أمر طلحة والزبير وعائشة، وكتاب إثبات الوصية، وكتاب افعل ولا تفعل).

ذكر لبعض مناظراته

قال الخطيب البغدادي:

(خرج أبو حنيفة يوما إلى السوق، فاستقبله مؤمن الطاق ومعه ثوب يريد بيعه. فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع علي؟ فقال: إن أعطيتني كفيلا أن لا تمسخ قردا بعتك، فبهت أبو حنيفة. قال: ولما مات جعفر بن محمد، التقى هو وأبو حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أما إمامك فقد مات، فقال له مؤمن الطاق: أما إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم).

ولمؤمن الطاق مناظرات أخرى لطيفة، منها:

(أن أبا حنيفة سأله، فقال: يا أبا جعفر ما تقول في المتعة، أتزعم أنها حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك، فقال له أبو جعفر: ليس كل الصناعات يرغب فيها، وإن كانت حلالا، للناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أتزعم أنه حلال؟ فقال: نعم، قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكتسبن عليك، فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة، وسهمك أنفذ).

ومنها:

(أن أبا حنيفة قال لمؤمن الطاق: لِمَ لَمْ يطالب علي بن أبي طالب بحقه بعد وفاة رسول الله، إن كان له حق؟ فأجابه مؤمن الطاق: خاف أن يقتله الجن، كما قتلوا سعد بن عبادة بسهم المغيرة بن شعبة، وفي رواية بسهم خالد بن الوليد).

(وكان أبو حنيفة يوما يتماشى مع مؤمن الطاق في سكة من سكك الكوفة، إذا مناد ينادي من يدلني على صبي ضال، فقال مؤمن الطاق: أما الصبي الضال فلم نره، وإن أردت شيخا ضالا فخذ هذا، عني به أبا حنيفة).



بعت جاري

أبو الأسود الدؤلي

اسمه ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو، أو ظالم بن ظالم، وفي اسمه ونسبه اختلاف كثير، هو أحد الفضلاء الفصحاء من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علياً عليه السلام وشهد معه وقعة صفين، وهو بصري يعد من الفرسان والعقلاء، وله نوادر كثيرة:

وهو أول من ذهب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمعرفة قواعد علم النحو وأسسه.

ومنها: أنه اشترى حصاناً بتسعة دنانير واجتاز به على رجل أعور فقال: بكم اشتريته؟

فقال: قومه. فقال: قيمته أربعة دنانير ونصف.

فقال: معذور أنت، لأنك نظرته بعين واحدة، فقومته بنصف قيمته، ولو نظرته بالعين الأخرى لو كانت صحيحة لقومته ببقية القيمة، ومضى إلى داره ونام، فلما استيقظ سمعه يقضم[1]

فقال: ما هذا؟

قالوا: الفرس يأكل شعيره.

فقال: لا أترك في مالي من أنام وهو يمحقه ويتلفه، ولا أترك إلا ما يزيده وينميه، فباعه واشترى بثمنه أرضاً للزراعة.

ومنها: أن جيرانه بالبصرة كانوا يخالفونه في الاعتقاد ويؤذونه ويرجمونه في الليل بالحجارة ويقولون له: إنما يرجمك الله تعالى.

فيقول لهم: كذبتم لو رجمني الله لأصابني، وأنتم ترجموني فلا يصيبني، ثم باع الدار.

فقيل له: بعت دارك؟

فقال: بل بعت جاري، فأرسلها مثلاً.

ومنها: أنه قيل له: هل شهد معاوية بدراً؟

قال: نعم، لكن من ذلك الجانب، وخاصمته امرأته في ولدها وقد شكته إلى والي العراق فقالت له: إنه يريد أن يغلبني على ولدي، وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له وطاء.

فقال أبو الأسود: بهذا تريدين أن تغلبيني على ولدي، وقد حملته قبل أن تحمليه، ووضعته قبل أن تضعيه.

فقالت: ولا سواء، إنك حملته خفاً، وحملته ثقلاً، ووضعته شهوة، ووضعته كرهاً. فحكم لها الوالي.

روى أن معاوية أرسل إليه هدية منها حلواء يريد بذلك استمالته وصرفه عن حب علي بن أبي طالب عليه السلام، فدخلت ابنة صغيرة له خماسي أو سداسي[2] عليه فأخذت لقمة من تلك الحلواء وجعلتها في فمها.

فقال لها أبو الأسود: يا بنتي ألقيه، فإنه سم، هذه حلواء أرسلها إلينا معاوية ليخدعنا عن أمير المؤمنين عليه السلام، ويردنا عن محبة أهل البيت.

فقالت الصبية: قبحه الله يخدعنا عن السيد المطهر بالشهد المزعفر، تباً لمرسله وآكله، فعالجت نفسها حتى قاءت ما أكلتها ثم قالت:

أبالشهد المزعفر يا بن هند
نبيع عليك [إسلاما] أحسابا ودينا
معاذ الله كيف يكون هذا[3]
ومولانا أمير المؤمنينا

توفي أبو الأسود بالبصرة في الطاعون الجارف[4] سنة تسع وستين وعمره خمس وثمانون سنة، وهذا الطاعون كان بالبصرة مات فيه سراة الناس، قيل: إنه مات فيه لأنس بن مالك ثلاثون ولداً[5].

١ـ القضم: شعير الدابة. (المنجد في اللغة: ٦٣٦، مادة قضم).

٢ـ المراد منه سنها خامسي أو سداسي.

٣ـ في نسخة: فلا والله ليس يكون هذا.

٤ـ الطاعون لأنه يجرف الناس كجرف السيل.

٥ـ عبر من التاريخ: الشيخ باقر المحسني، ص٢٨٩ ـ ٢٩١.



الجهات المشاركة والمؤثرة في تربية الطفل

تتعدد الجهات المشاركة المؤثرة في تربية الطفل ابتداء من الأسرة، ومروراً بالروضة والمدرسة والشارع والأقارب والمنظمات الشعبية، وعادات المجتمع وقوانينه، ووسائل الإعلام المزروعة بالتقنية الحضارية المعاصرة.

١ـ الأسرة

فأوضاع الأسرة المادية والاقتصادية ومستواها الثقافي والعلمي تترك آثاراً كبيرة على شخصية الطفل، وشخصية الأب والأم والأولاد الأكبر وتصرفاتهم جميعاً هي المثل الأعلى لتصرفات الطفل.

ولكل أسرة طريقة في التربية، سواء أكانت هذه الطريقة جيدة أم سيئة، إذ إن بعض الأسر تتبع أسلوب الدلال الزائد مع أطفالها، وبعضها تستخدم القسوة الزائدة، وكلاهما على طرفي نقيض، فالدلال يؤدي إلى بناء شخصية متكبرة متعالية هاربة من الواقع، وقد تفشل أمام أول مشكلة تصادفها، أو شخصية أنانية تستخدم أساليب ملتوية في التعامل مع الآخرين، أما القسوة فقد تخلق شخصية حاقدة منسحبة من المجتمع، تعاني الكثير من المشكلات النفسية، تبحث عن متنفس لتوتراتها فتصاب بحركات قد تكون لا إرادية «التأتأة ـ قضم الأظافر ـ مص الإصبع» إلى آخره من تصرفات طفيلية، يعجز الأهل عن فهمها، ويجهلون أساليب المعالجة، فيستخدمون العقاب مع الطفل مما يزيد الأمر سوءاً.

كما أن لطريقة التعامل المادية وتحقيق الرغبات أو عدم تحقيقها للأطفال أثراً كبيراً في نفسية الطفل، فعدم تحقيق الرغبات نهائياً يسبب للطفل مشاكل نفسية، كما أن تحقيقها بشكل مسرف يخلق مشاكل نفسية أيضاً.

هذا وقد تتدخل أقطاب أخرى داخل الأسرة بعملية التربية كالأجداد والأعمام والأخوال، والقاعدة التربوية تقول إن المجموع مرب سيّئ، فقد يؤدي الأمر في التدخل بتربية الطفل إلى الإساءة لتربيته.

ويتساءل بعضهم عن الحرية التي يجب أن تمنحها الأسرة للطفل، وقد تفهم الحرية بشكل خاطئ، فالحرية المقصودة هي حرية بالمعنى البيولوجي للطفل، وليست بالمعنى الاجتماعي. إنّها حرية أن يسأل ويتعلم ويلمس ويتعرف ويلعب، وليست حرية في تصرفات غير مدروسة، فحرمان الطفل من اللعب مثلاً يؤدي إلى كبت عواطفه وأحاسيسه، والسماح له باللعب في أي مكان وزمان وبأية طريقة يؤدي إلى إزعاج الآخرين وخلق شخصية غير مبالية بحقوق الآخرين.

إن الاعتدال في التعامل مع الطفل، وتقديم الغذاء العاطفي المناسب له، وتأمين فرص اللعب والفرح والسرور أمر ضروري، شريطة ألا يتعارض مع أمن الطفل وسلامته الجسدية والنفسية.

إلا أن الأسرة لكثرة مشاغلها ومحدودية ثقافتها التربوية أحياناً تكون غير قادرة على التربية بشكل صحيح، وعندما يصبح عمر الطفل ثلاث سنوات لابد من إرساله للروضة ليخرج من محيط الأسرة، وتتوسع دائرة علاقاته الاجتماعية.

٢ـ رياض الأطفال

وبدخول الطفل للروضة تبدأ معه رحلة الفطام الثاني عن أمه، والطريقة التي يستقبل فيها بالروضة تترك أثراً على حياة الطفل الدراسية المقبلة، وموقفه من المؤسسات التربوية التي سيمر بها في مراحل حياته القادمة.

إن لمعلمة الروضة أثراً كبيراً في شخصية الطفل، فالمعلمة غير المؤهلة للعمل في رياض الأطفال ستترك أثراً سلبياً على شخصية الطفل.

إن نمط التوجيه المستخدم في الروضة ومناهجها وبرامجها يسهم في رسم وتكوين شخصية سوية

للطفل، ولابد من الوقوف على أساليب التعامل داخل الروضة مع الأطفال، والمساواة بين الأطفال، والثواب والعقاب المستخدمان كلها أمور لها بصماتها على طفلنا رجل المستقبل، مع الانتباه إلى ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.

إذ الروضة قادرة بأسلوبها التربوي السليم تجنب الكثير من المشكلات النفسية والتربوية التي يمكن أن يتعرض لها الطفل.

٣ـ المدرسة

وبعد أن ينهي الطفل عامه الخامس سوف ينتقل إلى المدرسة الابتدائية ولن يكون دور المدرسة أقوى وأشد أثراً من دور الروضة، لأن معظم المفاهيم تم إدراكها وتثبيتها في ذهن الطفل، ولأن المدرسة تركز على التعليم محاولة إنهاء منهاج معين.

لكن المدرسة قد تسيء أحياناً لشخصية الطفل، فتعمق بعض مشكلاته النفسية، وذلك عندما تميز بين الأطفال في المعاملة، وقد تهمل حل المشكلات النفسية، للطفل نتيجة لكثرة الأعباء الملقاة على عاتق المدرسة الابتدائية خاصة الدراسية منها.

٤ـ جماعة الأقران

ويأتي دور الشارع فقد يلعب الأطفال مع أطفال آخرين موجودين في الشارع، وهذا الشارع يترك آثاراً كبيرة على الطفل، يقلد السلوكات التي يراها إيجابية كانت أم سلبية، وكلما طالت فترة بقاء الطفل في الشارع كانت الأخطار أكبر.

ويمارس الأطفال في الشارع ألواناً مختلفة من اللعب، وهنا سوف يجد الطفل أمامه مسرحاً اجتماعياً مليئاً بالتناقضات، فيحتار ماذا يختار، ويلفه الضياع، وينخرط ويتأقلم بما حوله، فمن الخطأ إذاً ترك الطفل ليلعب بالشارع، لأننا لا نستطيع أن نعرف الشخصية التي سوف تنبثق عن هذا المؤثر، ولكن كل ما نعرفه أن هذه الشخصية لن تكون شخصية مسؤولة، ويجب استبدال الشارع بالحدائق والنوادي، لأننا يمكن أن نراقب الطفل فيها ونساعده في اختيار رفاق اللعب.

٥ـ الأقارب والجيران

من الجهات الهامة والمشاركة في تربية الطفل بيوت الأقارب والجيران، حيث تترك هذه الجهات أثراً على شخصية الطفل، لذلك يجب على الأسرة اختيار البيوت التي فيها أطفال طبيعيون في سلوكاتهم، ولديهم أهل يجيدون تربيتهم. فالأسرة قادرة على زيادة من تراه مناسباً لأن يصادق طفله طفلها، وقادرة على الابتعاد عن أسرة لا ترغب أن تنتقل سلوكات أطفالهم لأطفالها. ولتتذكر دائماً أن الطفل يتأثر بالقدوة، يتعلم السلوك بالتقليد، لذلك لابد من الابتعاد عن كل مثل سيئ قد يقلده الطفل.

ولابد أن تشرف الجهات الدولية والمحلية على الثقافة المخصصة للأطفال والمقدمة إليهم، سواء أكانت الثقافة المرئية أو المسموعة أم المقروءة. لأن ثقافة الطفل لا تقل أهمية عن الغذاء العاطفي والجسمي المقدم له. وبالخبز وحده لا يحيا الإنسان.

٦ـ وسائل الإعلام

لوسائل الإعلام دور كبير في تربية الطفل، وبخاصة التلفزيون وما يرتبط به من شبكات الصحون اللاقطة والإنترنيت والفيدو، وكذلك الراديو والإذاعات المحلية والدولية، ومجلات الأطفال، مع التأكيد على دور التلفزيون في تربية الطفل، ولا بد أن يشرف الأهل على اختيار البرامج للأطفال، وعلى تحديد زمان ومدة المشاهدة التلفزيونية حتى لا يسرق هذا الجهاز زمن أطفالنا دون أن ندري، لذلك علينا ألا ننسى طفلنا أمام التلفزيون ليشاهد ما يشاهد ثم نقول ماذا نفعل؟.

إذاً هناك بعض المشاهدات التلفزيونية خطيرة على نفسية الطفل وأخلاقه.

فالأسرة مسؤولة عن انتقاء المحطات الفضائية المناسبة للطفل، ولابد من أن تحدد زمن المشاهدة، ألا تكون المشاهدة على حساب ساعات نوم الطفل.

إن التقنيات الحديثة التي تفرزها الحضارة تترك آثاراً إيجابية وسلبية على سلوكيات الطفل، فالتلفزيون والكمبيوتر والإنترنت والألعاب الإلكترونية تقوي شخصية الطفل وتطورها وتكسبها خبرات عديدة إضافة للمعارف العلمية والثقافية والأدبية، وبالمقابل هنالك أخطار لهذه التقنيات على نفسية الطفل وعقله وأخلاقه وأحياناً جسمه، فما يشاهده الطفل عبر القنوات الفضائية يشكل خطراً على العديد من جوانب شخصية الطفل، فمنها ما يشكل رغبة عدوانية عند الطفل، ومنها ما يجعل الطفل جباناً خائفاً من المجهول، فكثيرة هي الأفلام التي تركز في مضامينها وأساليبها على الصراعات والحروب، مع وجود توجه عالمي نحو تحقيق الأمن والسلام، وتكريس مفهوم السلام يتطلب برامج تقوي حب الإنسان لأخيه الإنسان ومساعدة القوى للضعيف، وعطف الغني على الفقير، وغرس المبادئ الإنسانية وغير ذلك من أساليب تسهم في نشر المحبة والسلام بين البشر، وتنزع النزعات العدوانية بجميع أشكالها.

تلك كانت المؤثرات السلبية والإيجابية التي يمكن أن تتركها الجهات المشاركة في تربية الطفل، ولابد من أن نتذكر دائماً أن أي أسلوب في التربية مهما كان مدروساً لابد أن يطبق بشكله الصحيح، ولابد من المثابرة والصبر في العملية التربوية حتى تؤتي ثمارها. والوعي الأسري للعملية التربوية هام جداً في نجاح تنشئة الطفل، وعملية الهدم في التربية صعبة جداً، لذلك يجب أن نعتاد على بناء السلوك الجيد لأن استئصاله سيكون صعباً فيما بعد، فالبناء بالعملية التربوية أسهل من الهدم على عكس ما هو معروف في عملية البناء الهندسي التي ترى أن الهدم سهل والبناء صعب[١].

١ـ تربية الطفل مشكلات وحلول ـ د. سلوى مرتضى، ص١٣ ـ ١٧.

الحمض النووي DNA



سنة الاكتشاف ١٩٥٩م

ما هذا الاكتشاف؟ تركيب وشكل الجزيئة التي تحمل المعلومات الوراثية لكل كائن حي

من المكتشف؟ فرانسيس كريك ـ Francis Crick وجيمس واطسون ـ James Watson

لماذا يعد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

صنع البايو كيميائي البريطاني فرانسيس كريك وزميله الأمريكي جيمس واطسون أول نموذج دقيق للتركيب الجزيئي للحامض النووي الرايبي منقوص الأوكسجين، أو الـ DNA، الذي يعدّ الشفرة الرئيسة لبناء وعمل جميع الكائنات الحية. عد هذا الاكتشاف كثيرون بأنه «الاكتشاف الأكثر أهمية للقرن».

أتاح اكتشاف تركيب جزيئة الـ DNA، لعلماء الطب فهم وتطوير علاجات للعديد من الأمراض المميتة، مما أدى إلى إنقاذ حياة ملايين من البشر. الآن، دخل علم الـ DNA، أروقة المحاكم على نطاق واسع، كما قاد هذا الاكتشاف لفك الجينوم البشري ولوعود باكتشاف علاجات لآفات خطرة وعاهات خلقية مختلفة أخرى.

لقد أعادت اكتشافات كريك المتعلقة بتركيب وظيفة الـ DNA، صياغة دراسة علم الوراثة، فأولدت حقل الأحياء الجزيئية، وأعطت اتجاها جديدا لحشد من المساعي والجهود في ميادين الطب المختلفة.

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

بدت الغرفة وكأنها احتضنت تواً احتفالاً للصغار فهاجت وماجت بهم وبقطع ألعابهم المتناثرة، أو كأنها غرفة ألعاب في مدرسة ابتدائية لأولاد مفعمين بالنشاط. فها هو السقف وقد تدلت منه منحوتات متحركة[1] من الأسلاك المتشابكة، خرزات ملونة، شرائط من صفائح معدنية، قصاصات من الورق المقوى، مسامير وكرات خشبية ـ فيتراءى للناظر وكأنه في مغارة أسطورية بأعمدتها الكلسية الهابطة. أما أرضية الغرفة والمناضد فكانت تعج بمعدات البناء، المقصات، قطع القصدير، صفحات تحوي معادلات معقدة، أكداس من التقارير والبحوث العلمية، وألواح فوتوغرافية بصور بلورية سينية مشوشة.

الزمان .. عام ١٩٥٣م، والمكان.. المكتب الموجود بالطابق الثاني في بناية عمرها ثلاثمائة عام ضمن حرم جامعة كامبردج، تقاسمه كل من فرانسيس كريك ـ Francis Crick وجيمس واطسون ـ James Watson.

لم تكن المنحوتات المتحركة مجرد ألعاب لا طائل منها لطالبين يتمتعان بوقت وافر للعب والمرح، بل كانت ممثّلة لجهود مضنٍ ودؤوب منهما في سبيل الظفر بالسباق العالمي لحل لب الحياة وصميمه، وذلك من خلال فك طلاسم شكل جزيئة الـ DNA.

بحلول عام ١٩٥٠، كان البايو كيميائيون قد استنتجوا أن نواة الخلية كانت حاملة للمعلومات الوراثية. كان أساس اللغز يكمن في كيفية استنساخ جزيئة الـ DNA، الضخمة لذاتها بحيث تستطيع أن تمرر هذه المعلومات إلى خلية جديدة، كائن جديد، وبالتالي جيل جديد. من أجل الإجابة على هذا السؤال، كان على أحد ما أن يعي أولاً الشكل الذي بدت عليه جزيئة الـ DNA، العملاقة هذه.

في كامبردج، انضم كريك إلى البيولوجي الأمريكي جيمس واطسون على اتفاق التضافر بجهودهما لبناء نموذج لجزيئة الـ DNA، في حين اتبع كل منهما دراسته المنفصلة وأطروحة بحثه الخاصة به.

بحلول عام ١٩٥١م، بدأ ـ مقاطع ومقادير صغيرة من المعلومات تبزغ شيئاً فشيئاً حول الـ DNA، في مناطق متعددة من العالم. فقد اكتشف إيروين تشارغاف[2] Chargaff Erwin أن هنالك نسبة محددة من التسلسلات النيوكليوتيدية في قواعد الـ DNA، مما يرجح تواجد علاقة مزدوجة بينها. أما أوزولد افري[3] Oswald، فأجرى تجارب على البكتريا مظهراً بأنه الحامل للمعلومات DNA

الوراثية في الخلية. ومن جانبه بنى لينوس باولينغ[4] Linus Pauling لفكرة عامة تفيد بشكل ألفا حلزوني لبعض السلاسل من البروتينات. حاول كريك وواطسون أن يجمعا هذه الدلائل المنفصلة ضمن تركيبة بنائية واحدة. مستعملين قطعا صغيرة من السلك، خرزات ملونة، صفائح معدنية، وقصاصات من الورق المقوى، علق كريك وواطسون نماذج حلزونية محتملة على مكتبهما المشترك. كان ظنهما صائباً بتشكل سلسلة رابطة من السكر والفوسفات للعمود الفقري لحلزون الـ DNA، كما ربطا المزدوجات القاعدية من الببتيدات بطريقة صحيحة. مع ذلك، لم يتوافق النموذج مع ما كان متاحاً من البيانات الدقيقة.

شهدت جامعة كامبردج محاولات أخرى، منفصلة عن محاولات كريك وواطسون، قامت بها روزاليند فرانكلين Rosalind Franklin مستعملة تقنية التصوير البلوري السيني لخلق صور ثنائية الأبعاد لجزيئة الـ DNA، في منتصف كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٣م، أعادت روزاليند تصميم كاميرات الأشعة السينية التي استعملتها، فأظهرت الأفلام السينية الناتجة عن هذه الكاميرات الصورة المعروفة الآن على هيئة حرف X، التي اقترحت شكلاً حلزونياً لجزيئة الـDNA.

بعدما جاءته البلاغات السرية عن المعلومات الجديدة بحوزة فرانكلين، تعمد كريك سرقة إحدى الصور السينية التي تظهر الشكل Xمن روزاليند. أخيراً وضعت هذه المعلومة المسروقة كلا من كريك وواطسون على طليعة السباق لحل مسألة تركيب الـDNA.

فبحلول منتصف شهر شباط (فبراير) من ذلك العام، كانا قد صنعا أول نموذج بنائي كامل لجزيئة الـDNA، مستخدمين الشكل الحلزوني المزدوج المعروف اليوم، على هيئة سلسلتين لولبيتين ملفوفتين على بعض[5] [6].

١ـ النحت المتحرك نوع من أعمال النحت نشأ في أوائل القرن العشرين، يتميز عن الأنواع الأخرى بأنه يحقق تعبيره أو مغزاه عن طريق الحركة، بينما تحقق أعمال النحت التقليدية تعبيرها بترتيبها للأشكال الصامتة الثابتة. يعدّ النحات الأمريكي الكسندر كالدير أول من أبدع أعمالاً فنية متحركة حقيقية. وترتبط هذه الكلمة عموماً بنوع الفن المتحرك غير المدار آليا، والذي بدأ كالدير في صنعه عام ١٩٣٤م، مستخدماً الأسلاك وأشكال الصفيح المدهونة ـ المترجم.

٢ـ أيروين تشارغاف (١٩٠٥ ـ ٢٠٠٢م): بايو كيمائي نمساوي ـ أمريكي، أسهم في بلورة فكرة التركيب الحلزوني المزدوج الـDNA، بعمر الثلاثين، كان قد نشر ثلاثين تقريراً علمياً، كما كتب ١٥ كتابا و ٤٥٠ تقريراً منشورا بكافة المواضيع. اشتهر عنه قوله: «إن تقنية الهندسة الوراثية تشكل تهديداً للعالم أكبر من التقنية النووية. أتمنى ألا أكون متواطئاً في هذا الذنب» ـ المترجم.

٣ـ أوزوالد أفري (١٨٧٧ ـ ١٩٥٥م): عالم أمريكي كندي المولد، يعد من أوائل المايكرو بيولوجيين ورائدا من رواد علم الكيمياء المناعية. وصف بأنه أكثر شخص استحق جائزة نوبل ولم ينلها ـ المترجم.

٤ـ لينوس باولينغ (١٩٠١ ـ ١٩٩٤م): عالم وكاتب وناشط سلمي أمريكي، يعدّ واحداً من أكثر العلماء تأثيراً في تاريخ الكيمياء، وثاني اثنين ينال جائزة نوبل في حقلين مختلفين (بعد ماري كوري) نال أول جائزة نوبل له في الكيمياء عام ١٩٥٤م على شرف بحثه في طبيعة الأواصر الكيمائية وتطبيقاتها وكذلك في توضيح تركيب المواد المعقدة، أما الثانية فكانت في السلام عام ١٩٦٣م «لوقوفه ضد تجارب صنع واستخدام الأسلحة النووية ودوره في حل النزاعات الدولية» إبان الحرب العالمية الثانية ـ المترجم.

٥ـ حاز كريك و واطسون على جائزة نوبل في الطب أو الفسلجة عام ١٩٦٢م، بينما حرمت فرانكلين من هذا الحق نظراً لوفاتها بعمر مبكر عام ١٩٥٨م متأثرة بمضاعفات سرطان المبيض ـ المترجم.

٦ـ قصة أعظم ١٠٠ اكتشاف علمي على مر الزمن ـ كيندال هيفن، ص٢٨٦ ـ ٢٨٩.



صدر حديثاً عن وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية دراسة وتحقيق بعنوان تفسير الإمام الحسين عليه السلام، التفسير الأثري التطبيقي لسماحة السيد محمد علي الحلو

